المجلد ٥٩

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد السادس
المجلد التاسع والخمسون

ربيع الأول ١٤٣٥هـ
يناير ٢٠١٤م

- فضائل القرآن الكريم
- عظمة الرسول ﷺ الفريدة
- العداء للإسلام سبب الصراع في العالم الإسلامي
- الحوار وأثره في مواجهة العنف
- ماذا أعددنا؟
- البديعيات في العصرين المملوكي والعثماني

تصدرها: مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ، الهند
Albaas-el Islami,Majlis Sahafat-wa-Nashriyat,
P.O.Box 93, Lucknow- 226007 (U.P. (India)
Fax : 0091-522-2741221 E-mail: albaas1956@gmail.com

Fax :91-522-2741221, 2741231 Regd. No. LW-NP/64/2012 To 2014 R... No. (U.P.ARA/2000/2341)

Monthly

AL-BAAS-EL-ISL...MI

Vol: 59 Issue:05 Nove... December 2013

إصدارات جديدة

إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء

(خمسة مجلدات)

للإمام المحدث الشاه ولي الله الدهلوي

ت ١١٧٦هـ

تحقيق وتعليق

الأستاذ الدكتور

المحدث تقي الدين الندوي

تعريب

... أحمد الندوي

يطلب الكتاب من

مركز الشيخ أبي الحسن الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية

معلم نور، أعظم جراه، يوبي (الهند)

Ph: 0091-5462270104

DESIGNED BY HAMID Mob: 9839544057, 1440

Printed & Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat (Dept.of Journalism & Publicity) at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow, U.P.
Editor : SAEED-AL-AZAMI-AL-NADWI

المكتب الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

المجلد ٥٩

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد السادس – المجلد التاسع والخمسون · ربيع الأول ١٤٣٥هـ يناير ٢٠١٤م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها:

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام:١٣٧٥هـ -١٩٥٥م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

مساعدا التحرير:

محمد فرمان الندوي

محمد عبد الله الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١ – ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Taigor Marg, Lucknow. Pin:226007-04 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231

Mob: 9889336348 E-mail:nadwa@sancharnet.in

العبقري العصامي!

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده، وما ينفع عملياً، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة، وفي عصر الثورة على الدين، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين، ومن النتائج الخاطئة، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون.

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية فيأخذ منه ما فاته من التجارب، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق، وقوى الروحانية والمادية - ويضيف إلى المدارس الفكرية، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع.

هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم، وهذا هو العملاق حقاً الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام.

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية في الهند

ثلاث مائة ٣٠٠/٠٠روبية

ثمن النسخة: ٣٠/٠٠روبية

في العالم العربي

وفي جميع دول العالم:

٥٠ دولاراً بالبريد الجوي

أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

المجلة غير ملتزمة

بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات:

ترسل الاشتراكات بالشيك:

باسم "البعث الإسلامي"

A/C 10863759846

(SBI LKO.MAIN BRANCH)

ودلك بالعنوان التالي:

مكتب البعث الإسلامي

(مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS SAHAFAT WA NASHRIYAT

NADWATUL ULAMA P.O. BOX. 93,

LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)

محتويات العدد

العدد السادس – المجلد التاسع والخمسون – ربيع الأول ١٤٣٥هـ يناير ٢٠١٤م

الافتتاحية :

عظمة الرسول ﷺ الفريدة ! — سعيد الأعظمي الندوي — ٣

التوجيه الإسلامي :

فضائل القرآن الكريم — سماحة الشيخ العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي — ٨

الشيخ رحمة الله ومناظرته مع القس فندر — الدكتور محمد بن سعد الشويعر — ٢٤

مـــاذا أعـــددنا ؟ — الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد — ٢٩

الدعوة الإسلامية :

الحوار وأثره في مواجهة العنف — الدكتور علي بن عبد الله الزبن — ٣٤

الأسس الشرعية للتفاهم والتقارب مع الديانات — الدكتور محمد شاهجهان الندوي — ٤٣

دراسات وأبحاث :

شرح قصيدة الكواكب الدرية في مدح خير البرية — الدكتور غريب جمعة — ٥٤

البديعيات في العصرين المملوكي والعثماني — الباحث محمد ثاقب الندوي — ٥٩

الأيام : دراسة من حيث نموذجيته لفن السيرة ..... — الدكتور عبد القدوس — ٦٦

أهمية المذاهب الفقهية الأربعة — الدكتور السيد كمال الله البختياري — ٧٧

صور وأوضاع :

العداء للإسلام سبب الصراع في العالم الإسلامي — محمد واضح رشيد الحسني الندوي — ٨٤

من كنوز القرآن الكريم :

تفسير القرآن الكريم للعلامة السيد سليمان الندوي — محمد فرمان الندوي — ٨٩

إصدارات جديدة :

معارف مصلح الأمة — قلم التحرير — ٩٥

المحدث الكبير والعالم الرباني الجليل العلامة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي — قلم التحرير — ٩٥

النسخ في القرآن الكريم — قلم التحرير — ٩٦

الشخصية القيادية — " " " " — ٩٧

أخبار علمية ودينية :

ندوة علمية وأدبية بعنوان : اللغة العربية في الهند — قلم التحرير — ٩٨

عودة مباركة من الربوع المقدسة — " " " " — ٩٩

إلى رحمة الله تعالى :

فضيلة الشيخ إعجاز أحمد الأعظمي إلى رحمة الله تعالى — قلم التحرير — ٩٩

الشيخ علي مرتضى محتشم الباتكلي في ذمة الله تعالى — " " " " — ١٠٠

والد الأخ كلام الدين الندوي إلى رحمة الله تعالى — " " " " — ١٠٠

الافتتـــاحية :

بسم الله الرحمن الرحيم

عظمة الرسول ﷺ الفريدة !

من المشاهد على المستوى العالمي أن المعنيين بالتعليم والتربية يقيمون مخيمات واسعة تُدعى إليها جماعات من طلاب العلوم والمعارف للتدريب العملي على استخدام وسائل الفكر وأداة العقل بأسلوب إيجابي في الساحات العملية والإنتاجية ، ويشرف على فنون التدريب من كل نوع ذوو الاختصاصات والمهارات ممن يتولون عملية التربية والتدريب لجماعات من جماهير الطلاب ويتعبون في أداء هذه المسئولية ولا يهنأ لهم بال ما لم يروا في المتعلمين إقبالاً كلياً على تلقّي دروسهم واستجابة تامة لما يوجهون إليهم من دروس وحقائق علمية وعملية .

وتستمر عملية التدريب والتربية إلى مدة ، وبعد ما يبذل جهده كل من الأساتذة والمعلمين ، ويتسنى لكل واحد الرجوع بعد إنجاز عمله وهو على ثقة بأن جهوده أثمرت في تحقيق الغاية بقدر ممكن ، ولم تذهب سدى ، وفي الأخير بعد ما انتهى كل من واجبه وتركيز سعيه وصب طاقته على شئون التدريب والتربية ، وآن له أن يرجع إلى سابق مركزه وعمله ، يُدعى في الأخير كبير الأساتذة الذي يتميز بجامعية العلوم والمعارف وأساليب التعليم والتدريب فيتناول الطلاب في المخيم بغاية من الحكمة والتأثير ويفيدهم بعلم جم ويدربهم على معرفة حقائق العلوم والمعارف ويحاضرهم حول الموضوع بما يشمل جميع جوانب العلم والحكمة والمعرفة حتى يغني عن أي شخصية بعد ذلك ، ذاك أن تعاليمه كانت شاملة تدوم مع الزمن وتساعد في بناء الشخصية العالمية التي تتكفل بالسعادة والهناء ، وتوفير أسباب الحب والأمن والسلام وأداء ضريبة العلاقات الطيبة مع الله تعالى ومع الناس في الدنيا ، وتمهد الطريق نحو الجنة والنعيم في الآخرة .

ليس ذلك إلا تمثيلاً فحسب ، للزمن الذي سبق نبوة محمد ﷺ ، زمن الأنبياء والرسل السابقين الذين بعثوا إلى هذا العالم في مناطق متعددة كثيرة ، والتف أهل كل منطقة إلى النبي المرسل إليهم عسى أن يجدوا فيه

شفاء لغليلهم أو تأييداً لما يعيشونه من أوضاع ، فكانت الأشكال متشابهة مع كل نبي ، فمنهم من اهتدى به الناس ، ومنهم من لقي رفضاً ومعارضة ، وبعضهم لم يجد إلا عدداً قليلاً في وسطه الخاص به ، رغم مجهودات بالغة بذلها في سبيل الدعوة إلى الحق ، وظلت بعثة الأنبياء والرسل متسلسلة إلى ميلاد عيسى الرسول عليه السلام وبعثته منذ أكثر من ألفي عام ، وقد ثارت الخلافات بين بني أتباعه فمنهم من جعله إلها فقط ، ومنهم من جمع فيه الألوهية مع البشرية ، ومن جعل الله تعالى ثالث ثلاثة ، وقد أنكر الله سبحانه كل ذلك وأعلن مدوياً ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ﴾ (سورة المائدة الآية/٧٥) وقد احتدم هذا الخلاف في عيسى عليه السلام إلى أن توزع أتباعه بين فئات وأحزاب ، وذلك ما جرّ إلى صدامات وحروب بين اليهودية والنصرانية سجلها التاريخ العالمي وتوقفت سلسلة بعثة الأنبياء والرسل إلى مدة طويلة ، عسى أن تهدأ عاصفة النزاعات والخلافات الشديدة بينهما وتصلح الأوضاع ، وتطمئن أرضية النفوس ، فيتطلع الناس إلى بعثة نبي مرسل من الله تعالى ، ذلك النبي الذي سيكون رحمة للعالمين وقد جاءت إشارة إلى ذلك النبي في كتب الديانات السماوية وغيرها من الكتب ، وأراد الله سبحانه أن يختم النبوة ببعثة خاتم النبيين محمد ﷺ بعد فترة طويلة من غيبة عيسى عليه السلام ، وكانت فترة يأس لأنها امتدت إلى أكثر من خمسة قرون ونصف وبدت آثار هذه البعثة الأخيرة مع مطلع القرن السابع الميلادي ، فكان لا بد من أن يكون ختم النبوة برسالة سماوية ربانية خالدة ودين كامل شامل وكتاب معجز يخلد إلى يوم الدين كدستور دائم للحياة الإنسانية ، في هذا الكون ، منسجم مع طبيعة الإنسان في كل زمان ومكان وفي كل عصر ومصر ، وذلك ما تحدث عنه كتاب الله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ❖ وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾ ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ .

ومع هذه البعثة الجليلة العظيمة انهارت دعائم الحضارات المصطنعة الوضعية ، وباءت فلسفة الوساطة بين العبد وربه بالفشل ولقيت الوثنية

والصنمية انتكاساً ويأساً ، وماد بها مركزها في قلوب الجماهير ، وصاحت القبائل قائلة : لن نترك دين آبائنا من أجل هذا الدين الجديد الذي ابتدعه محمد (ﷺ) ثم ذهبت إلى عمه وشكت هذه البدعة وما يدعو إليه من ترك عبادة الأصنام ، وعد العم الكريم بأنه سيتكلم ابن أخيه ويطلب منه أن يكف عن هذا العمل ، وتكلم وطلب منه ما طلبه قومه ، فكان الرد قولاً فصلاً لا لين فيه ولا هوادة : يا عم ! لو أن قريشاً وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري لما امتنعت عن هذا العمل" وسمع العم كلامه وتأكد أن ابن أخيه في عالم غير ما تعيش فيه قريش .

فهل هذا الصمود العظيم والثبات على مبدء النبوة يتوافران بهذه القوة من غير من اختاره الله تعالى نبياً ورسولاً للبشرية جمعاء وقربّه إليه يوم أسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ومنه إلى السماوات العلى ، لكي يطلع على آيات الله تعالى ويطل على الجنة ونعيمها ويجتمع مع الأنبياء والرسل فيها ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (سورة الإسراء الآية/١) .

ومن ثم كانت شخصية الرسول ﷺ شخصية ذات قيادة عالمية ، ذابت أمامها حضارات الفرس والروم ، وفقدت كفاءة الحكم وذاتية المدنية التي كانت قد سحرت العالم البشري كله ، وتأكدت أنها منتهى الحضارة والمثالية ، وسوف لا يحتاج بعدها العالم إلى حضارة أو مدنية أو قيادة للبشر ، ومع ذلك تحطم طلسم الفنون والآداب التي كانت تنتمي إلى الإغريق واليونان ، وجاء رسول الله ﷺ بحضارة الإنسان الراقية نمت فيها تعاليم الروح والمادة فتميزت بوسطية انسجمت مع الطبيعة ، وعدّلت جميع شئون الحياة والكون والإنسان التي وكانت فريسة الإفراط والتفريط وانحرفت بها الطرق المعوجة فتفرقت بها عن سبليها ، ولولا القصد والاعتدال في التعاليم التي جاء بها الرسول ﷺ ، لما تيسرت قيادة العالم بعد ما غابت عنه القيم والمثل العليا أيام الجاهليات التي عاشتها الأمم والشعوب على جميع المستويات ، والتي أنتجتها الحياة المصطنعة والحضارات المادية التي رصدتها كنموذج للحكم ، حكومات الشرق والغرب ولم تتحمل المتاعب في سبيل

الدعوة إلى الخير والهدوء والطمأنينة ، مثل ما فعل رسول الإنسانية في تثبيت دعائم الحب والأمن وتعميق جذور العدل والمساواة والاجتماع ، وترسيخ عقيدة التوحيد والإيمان في القلوب ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ (سورة الفتح الآية/٢٩) .

ولكي يعم خير هذا الدين ويستمتع منه العالم كله ، لم يكتف الرسول عليه الصلاة والسلام بإيثاره بجماعته وقومه وبلده على الآخرين ، وإنما نشر خيراته النامية كلها بين الشرق والغرب وفي جميع أرجاء المعمورة ، بدءاً أمن جزيرة العرب إلى الفرس والروم ، والهند والصين ، وقد اعتز أهلها بانتمائهم إلى هذا الدين الكامل الخالد الذي غمر العالمين بالرحمة والسعادة وروح التضحية والفداء ، فتلك هي خير ، أمة الأمة الوسط التي دعت الإنسان إلى بناء حياته في ضوء كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ووجهت دعوة الإسلام إلى الناس كافة وقامت بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشيئ كثير من الشعور بالمسئولية واستحضار يوم الحساب في الآخرة ، الواقع الذي أنتج لهذه الأمة أياماً سعيدة تحت ظلال الدولة الإيمانية ، والخلافة الإسلامية التي ظلت تمثل محاسن الإسلام في الحياة والمجتمع ، وقد ترفرفت راية الدين والدولة معاً في معظم مناطق العالم ، ونال العالم البشري حظاً وافراً من السعادة والعز والكرامة على أيدي رجال مؤمنين كانوا قوة عظيمة لنشر رسالة الإسلام في أنحاء العالم ، وسداً على الرذائل ، وعلى الخصومات التي أقامتها بعض الطوائف من مخلفات الديانات القديمة التي أثارت الأحقاد على الدين الإسلامي ومنهج حياته الطبيعي الذي نال الإعجاب في المجتمعات الإنسانية على المستوى العالمي ، ولا سيما بعد الفتح الإسلامي الذي توسع نطاقه في عهد الخلافة الراشدة وأيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد تصدت اليهودية والنصرانية لمحاربة الإسلام وصد تياره وتحديد تأثيره في المجتمعات في القرن العاشر الميلادي وما بعده ، وظلت المناوءات تتوسع والتبشير يأخذ طريقه نحو البلدان الغربية والشرقية ، وإسقاط الخلافة الإسلامية في الأندلس التي عمرها الخلفاء المسلمون بالعلوم والمعارف ، وبالمدارس والجامعات والمكتبات الواسعة

الكبيرة ، والمتاحف العامرة بنوادر الآثار ، والمساجد الشامخة والقصور المزخرفة ، وبالتالي بالحضارة الإسلامية النادرة ، أضف إلى ذلك كوكبة من أساتذة الفنون والمعارف من كل نوع ، أولئك الذين انتشلوا أوربا من محالك الجهل والوحشية ، وأخذوا أهلها بالتعليم والتثقيف وبمعطيات من خزائن العلم والمنهج الطبيعي للحياة الإنسانية .

ولكن أوربا كفرت بأنعم الله تعالى وسرعان ما نسيت ما أسداه المسلمون إليها ، وفرضت على العالم الإسلامي حروباً صليبية دامت نحو قرنين من الزمان في إبان القرن السادس الهجري والقرن الثاني عشر الميلادي ، فقيض الله تعالى السلطان نور الدين الزنجي وقائد قواته السلطان صلاح الدين الأيوبي لمقاومة الصليبيين وإنقاذ المسجد الأقصى وفلسطين ومصر والشام والعالم الإسلامي بكامله من براثن الحقد والبغض ، وطرد الصليبين ومن والاهم من اليهود ، وذلك في عام ١١٨٧ الميلادي .

ولم تتته الصليبية بل إنها تلبست اليوم بملابس جديدة وظهرت في أشكال شتى ، فتارة باسم حرية الكلمة ، وتارة باسم العولمة ، وثالثة باسم تحرير المرأة وباسم الفنون والثقافات ، وفي عام ٢٠٠٢/٩/١١م أُعلنت حرب صليبية جديدة وهددت الأمة الإسلامية بها من خلال الرئيس الأمريكي يومذاك ، وكأنها مستمرة بألوانها ضد الإسلام الذي تحاك خيوط المؤامرت لإضعاف مركزه ، وإسكات صوته ، وإخراج هيبته من القلوب ، وبتوجيه التهم إلى العالم الإسلامي بخرق القوانين الأمنية والسلمية ، وتسمية الإسلام بدين الإرهاب والجهاد ، كما أن هناك سعياً حثيثاً لمحو شعائر الإسلام بالوسائل السرية وتسريب السموم البطيئة إلى صفوف الدعاة وعلماء الإسلام ، والقضاء عليهم نهائياً .

يبر هن على ذلك ما يجري اليوم في العالم الإسلامي من أوضاع مضادة لتشويه وجه الإسلام وهز كيانه ، قال الله تعالى : ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ (سورة آل عمران الآية/١١٣) .

سعيد الأعظمي الندوي

١٤٣٥/٠١/٠٧هـ ٢٠١٣/١١/١١م

التوجيه الإسلامي :

فضائل القرآن الكريم

بقلم :سماحة الشيخ العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي
تعريب : محمد فرمان الندوي

إن أهم ما يمتاز به القرآن الكريم أنه بريئ عن كل شبهة ، وكتاب هداية وإرشاد ، ذكر الله هذه الحقيقة في القرآن بهذه الكلمات فقال : ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة البقرة الآية/٢) ، وأيُّ مزية أعظم من أن الله سمّاه موعظة وشفاء وهدى ورحمة وفضلاً ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (سورة يونس الآيتان/ ٥٧ – ٥٨) .

ومن فضائله الجمة أنه ذكر وموعظة للعالمين ، قال تعالى : ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (سورة ص الآية/٨٧) ، وهذا القرآن مفخرة وشرف للرسول ﷺ ولأمته ، قال تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ (سورة الزخرف الآية/٤٤) ، والفضيلة التي ينفرد بها القرآن أن مصدره علم الله عز وجل ، وهو حق ، ويهدي إلى الحق ، وإن جميع أخباره وأحكامه مبنيه على الصدق والعدل ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدْ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾ (سورة الزمر الآية/٢) .

وقد تكفل الله بحفظه وصيانته ، فقال : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۞ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (سورة القيامة الآيات/١٧ – ١٩) والفضيلة البارزة بين فضائل القرآن أنه سهل من حيث المعاني والمفاهيم ، ويتسم لفظه وأسلوبه بالسهولة واليسر ، فلا صعوبة فيه للفهم والذكر ، ويوجد في الدنيا ملايين من الحفاظ والمفسرين ، هذا يدل على عظيم فضله وغاية كماله ، قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ (سورة القمر الآيات/ ١٧ – ٢٢ – ٣٢) .

ومما يتبين منه فضيلة القرآن الكريم أنه يوجّه الناس إلى أرشد فكر وأحسن سلوك ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾ (سورة الإسراء الآية/٩) .

وقد اعتبر القرآن الاشتغال بوظائفة الثلاث أعظم عبادة : تلاوة القرآن ، وإقامة الصلاة ، والإنفاق في سبيل الله ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِراً وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ (سورة فاطر الآية/٢٩) ، وقال رسول الله ﷺ : خيركم من تعلم القرآن وعلمه (صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن رقم/٥٠٢٧) .

مكانة القرآن بين الكتب السماوية الأخرى :

كانت هناك كتب سماوية أيضاً قبل نزول القرآن ، لكن لم يبق كتاب سماوي على أصالته سوى القرآن الكريم ، وقد حُرِّفت ألفاظها ونصوصها ، فقد دونت التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام بعد وفاته ، وألحقت أبواب عديدة بها تتعلق بالتنبؤات قبل موسى عليه السلام وبعده ، ولا تزال الإضافات جارية ، ثم تعددت تراجمها التي كانت مختلفة عنها تماماً .

وكذلك الإنجيل دوَّنه تلاميذ عيسى عليه السلام بعد رفعه إلى السماء ، ثم أضيفت إليه قصص حياة عيسى عليه السلام وأقواله ، فلم يبق الإنجيل على أصالته في كلمات الله عز وجل ، حتى لا يمكن أن يجزم القول عن أقوال سيدنا عيسى عليه السلام أنها ثابتة عن سيدنا عيسى عليه السلام ، فهناك تناقض شديد في الروايات ، ويوجد تفاوت ملحوظ في روايات الأناجيل الأربعة ، وكُتابها ، لكن لا يشعر اليهود والنصارى بأدنى حرج وتحريف فيها ، فلم يكن هناك فكرة لحفظ الكلام الإلهي لفظاً ومعنى قبل القرآن الكريم ، وهكذا دواليك في الكتب السماوية الأخرى .

إلا أن القرآن الكريم الذي نزل على سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ كان قد مُنع ﷺ من أن يزيد حرفاً من عنده ، حتى لم يكن له خيار أن يبدل كلمة مكان كلمة ، إن الله تعالى يوحي كلامه إلى جبريل عليه السلام ، وهو يأتي به إلى محمد ﷺ ، ثم يقرأ ﷺ أمام الناس ، بالألفاظ والكلمات التي أخبره بها جبريل عليه السلام ، وقد كان النبي ﷺ مأموراً بأن لا يسرع في تلاوة القرآن الكريم ، بل عليه أن يستحضر الكلام الإلهي بألفاظه ومعانيه في ذهنه ثم يتلوه أمام الناس ، كان الهدف وراء ذلك أن يثبت الكلام الإلهي بمعانيه في قلبه وعقله مثلما تثبت ألفاظه فيهما .

كان القرآن الكريم يدوَّن تدريجياً في حياته ﷺ كلما نزلت آياته ، وكان له كُتاب يكتبونه ، ثم كان النبي ﷺ يعيد تلاوة القرآن كاملاً مرة في

السنة ، ويوحى إليه عن آيات كل سورة : أين موضعها من القرآن ، فلم يكن للنبي ﷺ أدنى تدخل في ترتيب الآيات وسورها ، فرتبها النبي ﷺ بوحي من الله عز وجل .

هكذا عُني بحفظ القرآن ، ودوِّن القرآن بكل حيطة في مصحف ، وهو متداول لدى مسلمي العالم بأسره اليوم ، فليس فيه زيادة حرف ونقصه ، ولم يقع تعديل في ترتيب السور وآياتها ، وبقيت قدسيته وفضيلته كما كانت وقت نزول القرآن الكريم ، وتبقى بإذن الله تعالى إلى يوم القيامة .

القرآن في ضوء شهادات الأعداء :

أبدى المستر كونت انطباعات عن القرآن في الكلمات الآتية :

"دُهش العقل الإنساني أن مثل هذا الكلام كيف نطق به لسان رجل كان أمياً ، اعترف الشرق بأجمعه بأن النوع البشري عجز عن تقديم مثيله لفظاً ومعنى من كل ناحية ، هذا هو الكلام الذي طمأنت أساليبه المعجزة قلب سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فآمن بالله إيماناً صادقاً ، هذا هو الكلام الذي حينما تلا جعفر بن أبي طالب بعض آياته التي تتعلق بولادة سيدنا عيسى عليه السلام أمام النجاشي همعت عيناه ، وصرخ البطارقة بأعلى صوت أن هذا الكلام صدر من المصدر الذي كان منه كلام عيسى عليه السلام" (١) .

وجاء في الموسوعة البريطانية :

"إن معاني أجزاء القرآن المختلفة يتفاوت بعضها بعضاً ، فكثير من الآيات تشتمل على توجيهات دينية وخلقية ، وجاء فيها التذكير بعظمة الله تعالى ورأفته وفضله عن طريق مظاهر الكون وتاريخ إلهامات الأنبياء ، وذكر فيها أيضاً عن طريق محمد (ﷺ) أن الله هو الواحد الأحد ، وقادر على كل شيئ ، وأن الوثنية وعبادة العباد حرام مطلقاً ، وصحيح ما يقال أن القرآن أكثر الكتب المعاصرة في الدنيا قراءة وتلاوة وفهماً ودراسةً" (٢) .

وقال المؤرخ الشهير بانجلترا الدكتور غبن في تأليفه :

"وقد اعترف جميع سكان الأرض من بحر أطلنطا إلى نهر كنكا بالهند بأن القرآن روح البرلمان ، والقانون الأساسي ، فليس هو للدين فقط ،

(١) شهادة الأقوام ص/١٤ .

(٢) الموسوعة البريطانية ج/١٦ ص/٥٩٩ .

بل للأحكام التعزيرية والقوانين التي يتوقف عليها سير الحياة ، وحياة النوع البشري منوطة به ، وله علاقة قوية بترتيب ونسق الحياة الإنسانية ، الواقع أن شريعة محمد (ﷺ) تحتوي على جميع شعب الحياة ، وقد دونت بأسلوب قانوني وقاعدة حكيمة ، لا يوجد لها نظير في العالم كله" (٣) .

القرآن مهيمن على الكتب السابقة ، وآخر سلسلة للوحي الإلهي :

ما موقف القرآن عن الكتب السابقة خاصة وعن الأنبياء والرسل الماضين عامةً ؟

يمكن أن نذكره في ثلاث نقاط للإيضاح والتفصيل :

١- لا يسلّم القرآن بأن مسافات الأوقات والأزمان أو اختلافات الأمم المختلفة يمكن أن تبدل وجه الصدق والواقع ، فالصدق ظاهرة واحدة شاملة وغير منقسمة ، وهو جزء لا يتجزأ ، بل الأصح أن يقال : هذه ظاهرة مسلمة معترف بها ، وجديرة بالتقدير والتسليم .

وقد بعث الأنبياء والرسل لنشر هذه الظواهر الواقعية والحقائق العالمية الشاملة وتوسعة نطاقها في أمم مختلفة ، فيجب لكل مؤمن أن يؤمن بجميع الأنبياء والرسل الذين واصلوا سير نشر الصدق والعدل حيناً لآخر .

وقد حوى القرآن في آياته جميع هذه الحقائق ، وصدقها تصديقاً كاملاً ، فإنه أكد مراراً : أيها الناس : صدِّقوا بسلسلة الوحي والرسالة التي بدأت من آدم عليه السلام وانتهت على سيدنا محمد رسول الله ﷺ ، وآمنوا بجميع الأنبياء من غير تمييز وتفريق : قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ (سورة النساء الآية/١٣٦) وقال : ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (سورة البقرة الآية/١٣٦) .

٢- وقد سمى القرآن "ذكر الأنبياء الماضين والكشف عن الحقائق العالمية الغابرة في آياته" بالهيمنة ، وهو مهيمن ، وهو نكتة ثانية أخرى في هذا الشأن ، قال الله تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ

(٣) الموسوعة البريطانية ج/٥ الباب الخامس .

يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ (سورة المائدة الآية/٤٨) .

المهيمن من أسماء الله الحسنى أيضاً ، قال الله تعالى : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (سورة الحشر الآية/٢٢) .

٣- ما معنى "المهيمن" أصلاً ؟ الواقع أنه لا توجد كلمة جامعة في الأردية لكشف هذا المعنى .

"تأملوا مدلولات كلمة "المهيمن" ينكشف لكم أن القرآن كلما استعمل كلمة المهيمن عن التعاليم السابقة ، كان معناها أنه لم يحتفظ فقط بروح التعاليم السابقة وجوهرها من حيث كونه شاهداً وأميناً ، بل لاحظ وأشار بصفة كونه مهيمنا إلى مواقع التحريف، ومواضع التغيير والتبديل ومواطن الزيغ والانحراف ؟ وكيف أخطأت أو زلت الأمم الماضية في فهم الحقائق الدينية والعمل بها" ؟ (٤) .

الكلام الرباني واللغة العربية :

كل كلام ينطق به الإنسان يحمل ثلاثة جوانب ، أولها أصل الفكرة التي يبلغها إلى المخاطبين ، ثانيها الصورة اللفظية التي تحملها هذه الفكرة ، وثالثها أسلوب عرضها وطريقة أدائها ، فمراعاة هذه الجوانب تجعل الكلام جميلاً ، ويكون الكلام مؤثراً ، وتارة يكون هدف الكلام إخبار المخاطب حقيقة الأمر ، وتارة توجيه عقله وقلبه إلى وجهة صحيحة ، أما إخبار المخاطب بحقيقة الأمر ، فهو في وسع كل إنسان يملك رصيداً من اللغة ، لكن إذا كان توجيه العقل والقلب إلى وجهة خاصة كان اختيار الكلمات المناسبة لهذا الغرض وترتيبها لازماً ، وكلما راعى المتكلم هذه الأمور بإتقان استطاع أن يقوم بأداء الكلام على أحسن وجه .

القرآن الكريم كلام رب العالمين وخالق الكون والخلائق كلها ، فإن الله ليس هو خالقاً لها فقط ، بل هو مبدع مواهبها أيضاً ، فكلامه لا يكتفي بالإخبار بشيء ، بل يمكن في قلوب وعقول المخاطبين غاية خلقهم وكلمات نافعة لهم ، وقد خلق الله مواهب فهم المخاطبين وكيفية قلوبهم وعقولهم ، فمن يُدرك نسبة فهمهم وإدراكهم وموهبة قبولهم سوى الله تعالى ؟

(٤) مطالعة قرآن للشيخ محمد حنيف الندوي ص/٣١ – ٣٣ ، باللغة الأردية .

وهو يعلم أن مواهب الناس كيف يختلف بعضها عن بعض ، وما قيمة هذا الفرق ؟ وما مقتضيات فوائدها ، من يعرفها سوى الله عز وجل ؟ فالكلام الذي ورد في القرآن كان مشتملاً على أحسن صورة بالنظر إلى هذه الاعتبارات ، ما هي المعاني التي يفهمها عامة الناس ؟ وما هي المفاهيم التي يناسب عقول الأذكياء ؟ هذه الميزة جعلت القرآن معجزة خارقة ، ولا تزال تتكشف أمام العلماء والباحثين في أربعة عشر قرناً جوانب جديدة لميزة القرآن هذه ونجاحه في تحقيق الغايات ، والآن حينما قد انقضت أربعة عشرقرناً تتجلى مناح جديدة أخرى له .

إن لكل كلام باطناً ، فيختفي فيه الغرض الحقيقي للكلام ، الذي تُنتقى لبيانه الكلمات المؤدية لمعناه ، ويستعملها كل إنسان حسب مواهبه ، وإن قيمة الظاهر مثل اللباس ، ويكون الباطن داخلاً فيه ، ويُعرف الباطن بالظاهر ، وإن باطن المخلوقات ولا سيما باطن الإنسان جُعل متنوعاً ، وعميقاً ودقيقاً .

إن دقائق باطن الإنسان كثيرة ، يصعب أداؤها في صورة ظاهرة للعبارة من جهد إنساني ، وخاصة إبداء الأحاسيس ، التي يكمن فيها الكبر والغرور ، والتواضع وكسر النفس وعلو الهمة والثقة بالذات . والتسرع والشعور بالاستعلاء ومركب النقص ، وقوة العمل وضعف الهمة ، والفخر ، والإعجاب بالنفس ، والرياء والتوكل أو التواكل ، والكراهة وطيب النفس وبعض حالات الهم والغم ، والغبطة والحسد والمحبة والبغض وتصوير الخيال والحب والمقت ، هذه هي كيفيات متنوعة ، لا يستطيع إنسان أن يبديها كاملة وفق ذلك ، وإن أبديت هذه الكيفيات في العبارة بوضوح لا يمكن أن يفهمها السامع أو القارئ كاملاً ، لكن خالق الإنس والجن الذي هو خالق كل شيئ يعرف هذه الخصائص ، ويُدرك مواهب إدراك القارئين أو السامعين ، فما راعى منها في خطاب الإنسان لا يوجد له مثال ، كذلك يحمل كلامه تأثيراً قوياً مثيراً للشعور والوجدان ، وبما أن مهمة خلق الإنسان جعلت عالية ، فخوطب الناس تحقيقاً لهذه الغاية ، فالكلام الإلهي يشتمل على دقائق مؤثرة للكلام ، وليس في وسع الإنسان أن يفهم ما وضع فيها من مراعاة خاصة في أدائها ، وقد جعله الله تعالى بأن يصل الكلام إلى المخاطبين وفقاً لأفهامهم ، ولا يقولوا : قد كنا عن هذا غافلين .

كان مخاطبو القرآن مباشرة العرب أو الرجال الذين لهم معرفة باللغة العربية ، فكانوا يتأثرون بالكلام المؤثر ، ويحملون ذوقاً عالياً لفهم الكلام العربي ، ويدركون أسراره إلى حد كبير ، فاستفادوا منه حسب الحاجة استفادة كاملة ، وهي مستمرة إلى الآن ، وإن ما ألقيت عليهم من مسئولية إبلاغه إلى الناس ، فتمت هذه الوظيفة بأحسن وجه ، فالذين يحملون ذوقاً عالياً للكلام العربي يتأثرون بالقرآن الكريم أشد تأثيراً ، لا يوجد له مثال في موضع آخر ، يندهشون برؤية المزايا المكنونة في ألفاظ القرآن ، ويقولون : ما هذا قول البشر ، هذا كلام إلهي ، فيستفيدون منه ويؤدون حقه ، لكن الذين لهم شغف زائد بالعلم ، وإدراك تام في معرفة دقائق الكلام وميزاته ، يعرفون كل المعرفة أن القرآن أشد تأثيراً وتنوعاً للخصائص ، بل كل كلمة حتى كل جانب يحمل معجزةً ، ويمكن للإنسان أن يستفيد منه حسب الحاجة ويفهمه إلى حد كبير ، وليس في وسع أي إنسان أن يصوغ كلاماً مثله ، فلو اجتمع الناس كلهم و سعوا في صياغة كلام بل آيات مثل القرآن لعجزوا عن ذلك ، وقد حاول بعض الناس في سابق الزمان محاولة خبيثة له ، ولكن الله عز وجل كشف عوارها ، وبين زيفها للناس ، وإنها كلام من صنع البشر لا علاقة له بكلام الله تعالى ، وقد صرح القرآن بهذا الواقع فقال : ﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (سورة الإسراء الآية/٨٨) .

كتاب لا تبلى جدته :

فإن القرآن الكريم آخر الكتب السماوية ، الذي أنزله الله عز وجل لإصلاح النوع البشري في الدنيا وإحراز الفوز في الآخرة ، وهو منارة نور لنيل رضا الله تعالى ، لا يستغني عن إشراقاتها أيُّ إنسان ، ومن يستغن عنها ، يحرم النجاح الحقيقي السرمدي ، فإن القرآن الكريم يحمل درجة سامية ومكانة عالية كبيرة ، لأنه كلام مقدس إلهي ، وتكون تلاوته عبادةً وسبباً لابتغاء وجه الله عز وجل ، وتكون معانيه ومفاهيمه أداة لكسب الصلاح في الدنيا ونيل النجاح في الآخرة ، وهو بالنظر إلى خصائصه وصفاته منبع حقائق ودقائق ومصدر أسرار ورموز ، تنكشف جوانبها المتنوعة ، وكوامن لآليها دائماً ، وتتماثل أمام الأعين فوائدها الجديدة ،

وقد أشار القرآن الكريم إلى أنه "نور" (٥) ، و "مبين" (٦) ، و "حكيم" (٧) ، و "عربي" (٨) ، و "ذكرى" (٩) ، ورحمة و "شفاء" (١٠) ، و "فرقان" (١١) ، و "مبارك" (١٢) ، و "عزيز" (١٣) ، و "كريم" (١٤) ، و "علي" و "أم الكتاب" (١٥) ، فالقرآن كتاب يحمل صفات وخصائص متنوعة ، وليس هناك كتاب أنفع وأشد إتماماً لحاجيات النوع البشري .

نفسية ادخار الأموال وموقف القرآن نحوها :

يتميز البشر بالتعددية في طبائعهم وخصائصهم ، إلى مدى بعيد لا يعلمه إلا الله ، لأنه الخالق والمودع فيها الدقائق والميزات ، إنه يبين الأحكام في القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى لإرشاد الناس إلى الصراط المستقيم ، وإيقاظه من سباته وفقاً لتنوع أمزجتهم ، ومراعاة لنفسيتهم ، ويوجد في القرآن الكريم نماذج كثيرة تكشف القناع عن هذا الأمر في أسلوب مؤثر ، وهي مبعثرة في مواضع شتى ، فمثلاً تبين سورة التكاثر أن الأثرة الشديدة والولوع بتحقيق شهوات قد يسري في الإنسان إلى حد كبير ، فينهمك في التنافس في هذا الأمر حتى يحين موته ، ويطلع على سوء عاقبته ، فيتأسف ويتحسر ، ثم يرى بأم عينه نهاية غفلته ونسيانه في صورة جهنم ، ويتصور ، بل يشاهد مؤاخذة الله على أعماله ومحاسبته عليها ،

(٥) ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (سورة المائدة الآية/١٥) .

(٦) ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (سورة المائدة الآية/١٥) .

(٧) ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ (سورة آل عمران الآية/٥٨) .

(٨) ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة يوسف الآية/٢) .

(٩) ﴿فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأعراف الآية/٢) .

(١٠) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة يونس الآية/٥٧) .

(١١) ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (سورة الفرقان الآية/١) .

(١٢) ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (سورة الأنعام الآية/٩٢) .

(١٣) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ (سورة فصلت الآية/٤١) .

(١٤) ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ (سورة الواقعة الآية/٧٧) .

(١٥) ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (سورة الزخرف الآية/٤) .

قال الله عز وجل : ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۞ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۞ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۞ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۞ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۞ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (سورة التكاثر الآيات/١ – ٨) .

سورة إنسان منغمس في ملذات الدنيا :

كذلك صوَّر الله تعالى في سورة الماعون صورة إنسان ينغمس في حياة الأثرة والانطلاق ، ويعرض عن قبول القول السديد ، وإطاعة الله عز وجل ، ويرفض أحكام ربه في بداية أمره ، ثم كان موقفه أنه يجتنب كل الاجتناب مواساة الآخرين ، يدع اليتيم وينهره ولا يحض الناس على طعام المسكين ، ويتغافل عن أداء الصلاة ، ويباشر أعماله رياء وسمعة ويبخل على الناس بالشيء المتواضع اليسير ، قال الله عز وجل : ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۞ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۞ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۞ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ (سورة الماعون الآيات/١ – ٧) .

أربعة شروط للإنسان الناجح :

اقرأ – أيها القارئ الكريم – سورة "والعصر" في القرآن الكريم تعرف أن الله سبحانه وتعالى يبين شروط الإنسان الناجح في هذه السورة الوجيزة ، فلا يبتعد من خسارة فادحة للحياة إلا الإنسان الذي امتثل أوامر الله تعالى ، وعمل أعمالاً صالحة ، وتواصى بالخير ، وتجشم كل ما يحدث من صعوبات أو مخالفات في سبيل الله بابتسامة ، وأشار على الناس بالصبر والاستقامة في الحق ، قال الله عز وجل : ﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (سورة العصر الآيات/١ – ٣) .

القرآن الكريم زاخر بأمثلة كثيرة :

إن دراسة القرآن الكريم توضح لكل ذي بصر وبصيرة أن أمثلة كثيرة منوعة ذات تأثير بالغ ذكرت في القرآن الكريم حول إصلاح وهداية النوع البشري من خلال طبائعه وأمزجته ، يوفر القرآن الكريم بذلك أسباب الهداية مع مراعاة نفسية جميع الناس ويقدم لهم قانوناً أكمل وأشمل ، يغطي جميع مناحي الحياة ، ويلاحظ الفطرة الإنسانية ملاحظة ، يقع كلامه

موقعه من السامع على مستواه ، ويجد فيه كل إنسان بغيته ، ويكون فيه وقاية من زلة وخطأ ، فكان القرآن كتاب هداية ورشد للنوع البشري لا يوجد له مثيل في تاريخ كتب الديانات .

حياة العرب وتأثير بيئتهم على القرآن :

كانت حياة العرب منعزلة عن المدنية ، ولا توجد لديهم أسباب الرفاهية ، والاقتصاد ، بل هي شبه مفقودة ، فكان العرب يضطرون إلى إرهاق الجسد وإتعاب النفس ، وكان إباؤهم وحماستهم القومية والدينية ، تبعثهم على المقاتلة والمحاربة بأسرع ما يمكن ، رغم ذلك كله كانوا يحملون قيماً وآداباً بإقامتهم في المناطق الجافة ، وتشتعل بها نيران الحرب فيما بينهم ، وبالإضافة إلى ذلك كانت إعانة المسافرين وإكرامهم فطرتهم في مثل هذه المناطق ، وهم يتمتعون بعاطفة المواساة للمسافرين والضيوف كثيراً ، وإن حروبهم تارة تستمر إلى سنين طوال ، نظراً إلى الحاجة الاقتصادية ، وكانوا على أهبة تامة لهذه الحروب ، فتحقيقاً لهذا الغرض كانوا يحتاجون إلى كثرة الأولاد والأسلحة الحربية التي يؤدي فيها الأولاد دوراً بارزاً ، وإن الفرس الفاره الجميل الذي كان أسرع عدواً أحب إليهم من الجواهر الغالية ، وكانوا يفتخرون بصفات الخيول فيشعل ذكر بطولاتهم وصفات خيولهم في الحرب قلوبهم ويملؤهم حماسة وقوة ، فلما أراد الله أن يحرضهم على قبول الهداية أنزل ضمن السور الأخرى سورة "العاديات" في أسلوب معجز مع مراعاة نفسيتهم : قسماً لهذه الخيول المسرعة الجري ، مثل البرق ، جرياً تثير فيه أخفافها النار وتمتلئ أفواهها باللعاب ، وهي تغير صباحاً على الأعداء ، وتثير النقع من أقدامها وتخوض في خضم الأعداء ، هكذا يأسر القرآن عقولهم وقلوبهم ، ويقول مشوقاً لهم : "إن الإنسان لكنود" ، وهو يرى ويشاهد كنوده وكفرانه بالنعمة ويعقله ، يعني أن الله تعالى أسبغ عليه نعما جليلة ، ومنحه ما يوافق نفسيته وهواه ، ومن مباهج ومسرات ، لكن هذا الإنسان لا يلتفت إلى إطاعة الله تعالى وشكر النعمة ، ويمارس أعماله طلباً للنفع المادي مجاوزاً حدود الله عز وجل حتى إذا بعثر من القبور ، وعرض أمامه ما أسلفت يداه حاسبه الله حساباً شديداً ، قال الله تعالى : ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً ۞ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً ۞ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً ۞ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً ۞ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً ۞ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۞ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ

لَشَهِيدٌ ❖ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ❖ أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ❖ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ❖ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ (سورة العاديات الآيات/١ – ١١) .

وقد ورد في سورة الحج ذكر عبادة الإنسان التماثيل المصنوعة ، وذلك مع مراعاة النفسية الإنسانية خاطب الله عز وجل الكافرين بنعمه : أيها الجاحدون لنعمة الله تعالى ! إن التماثيل التي تنادونها وتستغيثون بها كآلهة من دون الله لتحقيق حوائجكم ، لن يمكنها أن تخلق شيئاً صغيراً حقيراً ، مثل الذباب ، وإذا اجتمعت هؤلاء الآلهة الكاذبة لإنجاز هذا العمل ما استطاعت ، إن خلق الذباب لها صعب ، وإذا جلس الذباب يأكل الحلاوي التي وضعت لديها ، أو ذهب بها ، ما تمكنت من سلبها منه ، ما أضعف السائل والمسئول ! وما أحقر الطالب والمطلوب ! ، وهم لا يعرفون مكانة الله عز وجل وقدره ، قال الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ❖ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (سورة الحج الآيتان/٧٣ – ٧٤) .

اللافت للنظر في الآيات المذكورة أعلاه أن الله تعالى أودع هنا لطمأنة النفس أسلوباً نفسياً أن الإنسان جعل ما صنعه بيده ، إلهاً ، فليس في وسعه أن يخلق شيئاً حقيراً ، مثل الذباب ، وأعرض عن الله تعالى الذي هو عظيم وقادر على كل شيئ ، وخلق الله الكون كله ، وخلق جميع المخلوقات ، وخلق كل شيئ حسب إرادته ، وأودع فيه مواهب وقدرات بمشيئته ، فإن الأصنام التي يعبدونها لا يمكنها خلق الذباب ، فإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه ، ثم قال : انظروا ، كم ضعف طلاب آلهتهم التي نحتوها بأيديهم ، إن رعاية نفسية الإنسان والانسجام مع وجدانه ومشاعره توجد نماذجه في القرآن الكريم حيث يخاطب بأسلوب يقع في القلب كل موقع ، فينكسر طلسم الجهالة والطقوس التي تصورها الإنسان في ذهنه ، إن دل هذا على شيء فإنما يدل على الإعجاز الفني للقرآن الكريم .

الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم :

خاطب القرآن قراءه ومستمعيه على قدر عقولهم ومكانتهم ، هناك ألفاظ ومفردات لبيان معنى العلو والارتفاع ، لما استعملها للعصاة المتمردين مثل فرعون قال : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ﴾ (سورة القصص الآية/٤) إشارة إلى

العصيان والظلم ، وعلو النفس ، وحينما استعمل هذه الكلمة في معنى رضا الله تعالى استعار منها كلمة "العلي" دون "العالي" ، قال عز من قائل : "العلي الكبير" (سورة الحج الآية/٦٢) وقال : ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (سورة البقرة الآية/٢٥٥) هذا في موضع المدح ، وذاك في موضع الذم .

كتاب يخاطب العقل والقلب معا :

القرآن كتاب يجمع بين دفتيه كلاماً يوافق العقل والقلب معاً ، يتحير الإنسان بمجرد سماعه ويعترف بأنه كلام الله المقدس ، ومثال ذلك ما ظهر من قصة إسلام عمر رضي الله عنه (١٦) ، حينما سمعه من رسول الله ﷺ ، هذا المنهج الإعجازي للقرآن الكريم يقدم أمام الدعاة العاملين في حقل الدعوة الإسلامية نموذجاً حياً .

مما لا شك فيه أن هذه الصحيفة السماوية نعمة من الله غالية ، توفرت لأهل الأرض ، خاصة في المناسبة التي لا يوجد على الأرض أي مخلوق استفاد من الرسالة السماوية والكلام الرباني مثلما استفاد الإنسان من القرآن ، وبما أن الكلام السماوي يحمل قوة لا تستطيع الأرض أن تحملها ، لكن الله أنزل الكلام المفعم بالقوة السماوية بقدرته وحكمته في صورة اللغة الإنسانية ، وقد صارت هذه اللغة جديرة بإكمال الحاجيات الإنسانية ومقتضياتها على أتم صورة منذ نزول القرآن ، وكانت مواهب ناطقيها لفهمها وإدراك معانيها مستحكمة ، بذلك تمهد سبيل الاستفادة من الكلام الرباني للناس من هذه اللغة ، وقد أشار الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم إلى عظمة الكلام الإلهي وحاجة الناس إليه بقوله : ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الحشر الآية/٢١) .

ثم وجه الخطاب في الآية الأولى للقرآن من حيث النزول إلى الاستفادة من أعلى المواهب للإنسان ، (العلم) ، وهذا العلم لا يحصل للإنسان إلا بمعرفة اللغة ، بذلك يتفوق الإنسان على جميع مخلوقات الأرض ويتميز به ، والعلم نعمة غالية من الله تعالى ، ما زال الإنسان يستفيد منه

(١٦) سيرة ابن هشام ج/١ ص/٣٤٢ – ٣٤٦ .

للرقي الشامل في حياته المادية والمعنوية ويكون محتاجاً إليه في المستقبل .

موضوع رئيسي للقرآن الكريم :

إن هداية الإنسان وإخراجه من الظلمات إلى النور موضوع رئيسي بين جميع خصائص القرآن الكريم وفوائده اللامتناهية ، قال الله عز وجل : ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (سورة إبراهيم الآية/١) ،إن الله خالق كل شيئ في الكون ، ومسيِّر له في وظيفته ، فهو مطلع على كل شيئ ، وبصير بالطبائع الإنسانية وخصائصها ، إنه يعلم جوانب الخير والشر في الإنسان ويعرف حالاته الظاهرة والباطنة ، فبالجملة أن الله تعالى خاطب الناس مع مراعاة الطبيعة الإنسانية وحاجيات الحياة ، فاختار لهدايتهم اللغة التي كانت لغة مخاطبيه ، حتى إن الأميين منهم كانوا يدركون معانيها ويفهمونها ، وإن ألفاظ هذه اللغة وأسلوبها الذي ينسجم مع فهمهم وشعورهم اعتنى به القرآن أيضاً ، وهو يخاطب نفسية الإنسان وعقله ، هذا هو السبب فيما إذا ضرب على الوتر الحساس ، ويؤثر في العقل والقلب معاً ، الواقع أن هذا التأثير لم يوجد في أسلوب كلام إنساني ، ولم يشهد التاريخ مثاله ، فكان القرآن الكريم معجزة كاملة ، وإن كانت الاستفادة منها سهلة ميسورة للإنسان ، وهو يقرؤه ويفهمه ، قال الله عز وجل : ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ (سورة العنكبوت الآية/٤٣) أنزل هذا الكتاب على سيدنا رسول الله ﷺ لمهمة عظيمة ، بعيدة عن الأغراض المادية الدنيوية ، فقد أشير فيه إلى التخويف من الضلالة والغواية وعاقبتها الوخيمة في جانب ، وفي جانب آخر يوجد فيها ذكر آيات عظمة الله تعالى وقدرته ، وصرفت عنايته إلى الدور العظيم الذي يمثله الإنسان على الأرض ، بذلك يسهل فهم قدرة الله تعالى وحكمته للإنسان على أساس العلم الذي أودع الله فيه بوجه خاص ، قال الله عز وجل عن العلم : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (سورة العلق الآيات/١ – ٥) وقال : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (سورة الزمر الآية/٩) وقال : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (سورة فاطر الآية/٢٨) ، فالعلم هو المفتاح الذي يفتح به الإنسان جميع المغاليق ،

ويبحث عن فرص مواتية جديدة في مختلف شعب الحياة ، وإن القرآن يوجه الأمة العربية التي كانت أمية أن تهتم بالعلم ، ليكون زينة لحياته وذريعة لصلاحها ونيل جميع الإمكانيات التي تكون مساعدة في المستقبل ، وقد أقسم الله بالقلم ، والقلم هو أغلى شيء يكتشف للإنسان نواحي جديدة للعلوم والفنون ، قال الله تعالى : ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (سورة القلم الآية/١) .

جعل الله عز وجل كلامه جزءاً من كتابه الذي سماه : بالكتاب من خزينة علمه وإرادته ، وخزينة العلم هذه تختص بخالق الكون وصانعه ، فعلم صفاته وقدرته بحر لا ساحل له ، ولا يُعرف مبتداه ومنتهاه ، وقد منح الله العالم الإنساني نزراً يسيراً من كتاب علمه ومعرفته في صورة القرآن الكريم ، قال الله عز وجل : ﴿الم ۞ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة البقرة الآيتان/١ – ٢) هذا هو العلم الذي يوجد جزء منه في القرآن الكريم كتاب الله العزيز وهو كلام مقدس يميز بين الحق والباطل ، أنزله الله تعالى بعباده ليكون ذريعة لسعادتي الدنيا والآخرة ، وقد أمر الله سبحانه وتعالى الإنسان بأن يطلب نجاحه في الدنيا والآخرة ، ويسأل بهذه الكلمات : ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (سورة البقرة الآية/٢٠١) ، وعلّمه أن يقول : ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (سورة آل عمران الآية/١٩٤) ، هذه الآيات ترشد الإنسان إلى أهداف حياته الأصلية .

ثلاثة أنواع لمعاني القرآن :

قال الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة النور الآية/٣٤) ، تشير هذه الآية إلى ثلاثة أنواع من المعاني المذكورة في القرآن الكريم :

١- آيات القرآن التي هي واضحة ومبينة ، يستطيع الإنسان أن يستفيد منها ، فهو يقرؤها ويفهمها ، هذه الآيات تهدي إلى الصراط السوي للحياة المثالية ، وهي مفعمة بأنواع من مظاهر الكون والعلوم والفنون المنوعة ، ودالة على الحقائق الكونية التي هي مسلمة ومصدقة ، وكاشفة للإنسان عن عقيدة صحيحة وطريق يؤدي إلى سبيل النجاة في الدنيا والآخرة .

٢- يكشف القرآن عن قصص الأمم الماضية التي نبذت نصائح أنبيائها ورسلها وراءها ظهرياً ، ولم تطع ولم تستفد ولم تعتبر من الدلائل الكونية

والبراهين السماوية فأهلكت وقطع دابرها .

٢- تكثر أساليب النصيحة والموعظة في القرآن الكريم التي تفتح قلوب المتقين وتحثهم على القيام بأعمال الخير ، وتشير بعض الآيات إلى هذا الجانب ، قال الله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (سورة الزمر الآية/٢٧) ، وقال : ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (سورة الفرقان الآية/٦) .

ذكر الله تعالى عظمة كلامه وجلال أسلوبه المعجز وأنه يشتمل على آيات مغيبات يقصر عن إدراكها الحواس الإنسانية ، قال الله عز وجل : ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة هود الآية/٤٩) .

وهناك آيات تبين الإعجاز البياني والعلمي في أسلوب التحدي ، قال الله تعالى : ﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (سورة الإسراء الآية/٨٨) ثم قال : ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة القصص الآية/٤٩) .

على كل ، فإن القرآن مشتمل على أنواع مختلفة من أسلوب البيان وبلاغة الكلام ، بذلك يسهل فهم وإدراك معاني هذه الآيات ، وتكون الدلائل الكونية والطبيعية معاونة في إدراكها ، وتأتي في إطارها قصص الأمم الماضية وأحوالها ويساعد علم المغيبات الإنسان في الهداية ، وهذا جانب له يماثل الموضوع .

أما جانب القرآن الذي هو عبارة عن جمال وروعة الكلام الظاهري وأداء المعنى فلا يخلو من الإعجاز أيضاً ، لأن فيه كلمات مؤثرة ، وتنوع أسلوب البيان والفصاحة الساحرة والبلاغة الباهرة زمن فصحاء العرب وبلغائهم الذين نزل فيهم القرآن ، وكانوا على قمة عالية من فصاحة اللغة وبلاغتها ، لكن لما سمعوا القرآن دهشوا ، وحينما تحداهم القرآن خضعوا أمام الإعجاز القرآني وبلاغته ، فإن الأسلوب المؤثر الذي اختاره القرآن في ذكر قصص الأمم السابقة والوصف البارع للجنة والنار ويوم القيامة أعلى مثال للبيان والبلاغة ، ولا يكون نظام أقوى وأحسن للوصف من هذا ، فإن قلوب السامعين والقارئين تمتلئ رعباً ودهشة .

أما أسلوب الوصف فهو يحيط بقلوب العباد كلها ، فيوجد تنوع عظيم في استعمال الألفاظ حسب الأحوال والمناسبات المختلفة ، مثلاً كلمة "الريح" ، فقد أريد بها معنى العذاب والهلاك باستعمالها مفردة ، كما ورد في قصة قوم عاد ومواضع أخرى ، لكن حينما استعملت هذه الكلمة جمعاً أريد بها معنى الخير والعافية ، الذي ورد ذكره ضمن إنزال المطر لصالح النباتات والأشجار ، وهنا كلمة "نعمة" ، إذا كان استعمالها بكسر النون أريد بها معنى صفة الخير والنفع ، وجعل رحمة للعباد المؤمنين ، لكن حينما استعملت بفتح النون أريد بها معنى الأمور التي ظاهرها خير وفلاح ، وباطنها من قبله عذاب ، كما جاء في القرآن للكفار والمترفين : ونعمة كانوا فيما فاكهين ، كذلك كلمة الخطأ ، استعملت للشئون الدنيوية صيغة الثلاثي المجرد ، وللشئون الدينية الثلاثي المزيد فيه ، وله غير ذلك من الأمثلة .

وقد يوجد اتزان عجيب لصوتية الألفاظ في استعمالها ، كما ورد في آخر سورة مريم : ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ﴾ فإنه يحمل تطابقاً صوتياً بالنظر إلى المعنى ، فتدل صوتية الألفاظ على معانيها مباشرة .

وتحقيقاً لهذا الهدف ألف العلماء مؤلفات كثيرة لبيان الخصائص والميزات البلاغية للقرآن ، منها ما يبين الإعجاز القرآني في الألفاظ والمعاني ، ومنها ما يشتمل على التنبؤات التي ظهرت بعد نزول القرآن ، ولا تزال تظهر فينة لأخرى ، ومنها ما يشمل أصناف الاستدلال المختلفة والكائنات والطبيعيات ، ومنها ما يتعلق بالقصص التي هي للأمم الماضية ، وكما يوجد فيها أحكام وأمثال مؤثرة .

كتاب معجز :

تناول القرآن الكريم لهداية الناس وصلاحهم ، لفظاً ومعنى أفضل أساليب الكلام وعلم النفس الإنساني ، تتجلى من التدبر في آياته نكت يندهش أمامها القارئ ، ويزداد يقينه ويعترف بأن القرآن هو الكتاب المعجز ، فالذي يقرأ القرآن ويتلوه بذهن مفتوح يتأثر به للغاية ، ويؤمن به قائلاً : آمنا وصدقنا ، ولا شك أن القرآن كتاب هداية ومنارة نور لإيصال حياة الإنسان إلى الصراط المستقيم .

❖❖❖❖

الشيخ رحمة الله

ومناظرته مع القس فندر

(الحلقة الثانية الأخيرة)

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر *

هذه المناظرة – بين الشيخ ، وكبير القساوسة الإنجليزي فندر – كانت دينية ، في مسألتي النسخ والتحريف ، حصلت في الهند عام ١٢٧٠هـ – ١٨٥٤م ، جاء في مقدمة كتاب المناظرة : ولما فشل الأوربيون ، في الغزو العسكري المسلح ، وفشلت كذلك بعثاتهم التنصيرية ، المرافقة للبعثات العسكرية ، وعرفوا أن قوة المسلمين مستمدة من قوة دينهم ، وصحة عقائده ، المستندة إلى الوحي ، لجأوا إلى أسلوب الاستشراق والتنصير ففتحوا الجامعات اللاهوتية ، والمتخصصة في دراسة الإسلام ، وعقائده ومصادره وسيرة الرسول ﷺ ، لتخريج المستشرقين ، والمنصرين الممتلئة قلوبهم حقداً ، وتعصباً ضد الإسلام والمسلمين .

وقد حرص هؤلاء على إضفاء الطابع العلمي – زوراً وبهتاناً – على أبحاثهم المكتوبة للطعن في كل ما يتعلق بالإسلام ، وعقائده ومصادره وتاريخه ، حتى ملكوا إعجاب كثير من الأوساط العلمية ، في الشرق والغرب .

ويخطئ من يظن أن العمل الاستشراقي ، لا علاقة له بالعمل التنصيري ، فلئن كان الاستشراق هو المصنع الذي يعمل به المستشرقون ، لإنتاج الشبه ، ضد دين الإسلام ، وتشكيك المسلمين في عقائدهم ، وتاريخهم وآداب لغاتهم ، فإن المنصرين هم الأدوات التي تبحث عن أسواق فكرية لترويج هذه الشبه والطعون .

لكن المستشرقين عملهم كتابي ، وأغلبهم من أحبار اليهود

---

* رئيس تحرير مجلة "البحوث الإسلامية" الرياض – (المملكة العربية السعودية) .

وكهنتهم ، وأما المنصرون فكلهم من قساوسة النصارى ، ولا يقتصر عملهم على الكتابة فقط ، بل يقومون بفتح المدارس ، وإنشاء المستشفيات ، والمؤسسات الخيرية ، وجمعيات التغذية ، وكلها ظاهرها الرحمة ، وباطنها من قبله العذاب ، لأنها كلها منظمات تنصيرية بالدرجة الأولى .

وتجمع بين المستشرقين والمنصرين مصلحة الهدف ، وعلى الإسلام كقوة عسكرية ، وكمنهاج حياة يحكم الناس ، وينظم شئونهم بأحكامه وقوانينه الإلهية الربانية الخالصة .

وقد ظهر أثر الاستشراق والتنصير واضحاً ، ملموساً بظهور فئة من المسلمين ، صدقت كل ما يفترى حول دين الإسلام ، فأساءت الظن بماضيه ، واحتقرت حاضره ، ويئست من مستقبله ، وكان لهذه الفئة دورها في الإعلام الفاسد ، والمجلات الخليعة ، والأدب المنحل ، والدعوة للتحلل من القيم الدينية ، وتفكيك عرى الأمة الإسلامية ، بإثارة النعرات القومية ، التي تطالب بالتخلي عن الإسلام وتاريخه المضيئ ، باعتباره حملاً ثقيلاً ، وعبئاً كبيراً ، لا يناسب التقدم الحضاري المتطور ، وتنادي بإبعاد الإسلام عن مسرح الحياة (المناظرة الكبرى : ٧ – ٨) .

وعن جهوده في تأسيس قاعدة علمية بمكة ، فقد قدمت سيدة من كلكتا في عام ١٢٨٩هـ للحج ، وكانت عازمة على إنشاء رباط ، واستشارته ، واسمها "صولت النساء" وقال لها : إن الأربطة كثيرة ، ولكن تكون مدرسة تخدم الإسلام ، ويتعلم بها أبناؤهم علوماً شتى ، فوافقت واشترت في عام ١٢٩١هـ ، أرضاً بالخندريسة ، بواسطة الشيخ رحمة الله فشرع في البناء حتى أتمها في عام ١٢٩٢ ، وسماها باسمها "الصولتية" تخليداً لاسمها (دروس من ماضي التعليم بالمسجد الحرام لعمر عبد الجبار ص/٩٨) .

وقد حاولت القنصلية الإنجليزية بجدة ، إغلاق المدرسة للوالي ، بحجة أنها تشكل حركه أجنبية ، تعمل داخل البلاد ، وبذلوا جهوداً لإيقافها ، فلم يفلحوا ، لأن الشيخ وضع خطة تضمن استمرارها : بابتعاد الطلاب والمدرسين عن الخلافات المذهبية والسياسية ، والعصبيات القومية .. وقد زارها الملك عبد العزيز رحمه الله في ١٣٤٤/٦/٢٨هـ ، مع وفد ، وقال :

إن الصولتية هي الجامع الأزهر في بلادي (المناظرة الكبرى ص/٤٠ – ٤٢) .

وقبل المناظرة ، تبادل مع القسيس "فندر" الرسائل العديدة ، حول مكان المناظرة ، وموعدها وشروطها ، ومن يحضرها ، والحكمين فيها ، واتفقا على أن تكون المناظرة في أربع مسائل ، وفي يومين متتاليين في الأمور : النسخ والتحريف ، والتثليث والنبوة .

وقد كان من أسباب المناظرة : جهود الاستعمار والتنصير في الهند ، وجهود الشيخ رحمة الله في مقاومة التنصير ، ولذكاء الشيخ رحمة الله ، وسعة اطلاعه على كتب النصارى ، فقد فضحهم في كتابه إظهار الحق ، و رد على شبهاتهم وأقاويلهم ، فقد عرّى "فندر" وكتاباته ، حيث استطاع في هذه المناظرة ، إظهار فندر على حقيقته ، وتعرية كتاباته ، التي ملئت تبجحاً وتحدياً ، والحط من قدره ، وقدر كتبه ، ويظهر ذلك مما يلي :

١- إظهار تناقض فندر في مواضع عديدة من كتبه ، وأنه كان يكتب بغير علم ، كما كان يتكلم أثناء المناظرة ، بغير وعي ولا علم .. فقد عقد فصولاً طويلة ، في ميزان الحق لبيان عدم نسخ كتب العهدين جميعها ، ثم اعترف بنسخ التوراة ، وكرر القول مراراً ، بأن الكلام في الإنجيل لا في التوارة .

ولا شك أن هذه القدرة ، على إظهار تناقض الخصم ، بالمقارنة بين ما يقوله وما يكتبه ، ليس أمراً ميسوراً ، إلا لمن يسّره الله له ، فوعى كل ما كتبه خصمه ، وقد بلغ الشيخ هذا الوعي والعلم ، واكتفى بهذا المثال : عند ما احتج فندر على منع النسخ ، بأن الله يكون مثل السلطان الإنساني ، ضعيف العقل ، لأن النسخ بزعمهم يعني : أن الله أعطى الكتب السابقة ، ولم يحصل مرامه منها ، فأعطى القرآن الذي به حصل مرامه ، لأن ما قبله كان ناقصاً ، والله لا يعطي شيئاً ناقصاً .

فرد عليه الشيخ : بأن هذا الفهم لا يلزم على المسلمين ، نظراً إلى معنى النسخ المصطلح عندهم ، وإنما يلزم على فندر وزمرته ، فهو الذي نقل في ميزان الحق ، قول بولس في الرسالة العبرانية ، وأيده في اعتباره الوصايا السابقة (أي التوراة) ضعيفة وناقصة ، وعديمة النفع ، لأنها هرمت وشاخت ، فأي تناقض أبلغ من هذا ؟ .

٢- إلزامه فندر أن يتراجع عن كتاباته التي كتبها ، وعن أقوال قالها ، وأن يعترف بغلطه فيها في مواضع عديدة ، وهذا حصل عدة مرات في المناظرة : منها عند ما بين له الشيخ : بأن النصارى نسخوا جميع أحكام التوراة ومحرماتها إلا أربعة ، ثم نسخوا حرمة ثلاثة منها ، مستشهداً بنصوص عندهم .

وأورد الشيخ ، شيئاً من تناقض كتبهم ، حيث بان التناقض ظاهراً من كلامه بالحرمة ، ثم بأن علماءهم يفتون بالحل ، وقد اعترف فندر ، بوقوع أربعين ألف اختلاف ، ثم تراجع إلى ثلاثين ألفاً .

وعند ما سأله الشيخ عن "كيس برسبتر" الروم ، قال : هو معتبر عندنا ، فلما استشهد بأقواله الملزمة الواضحة تبرأ منه فندر في نفس اللحظة ، وصار عنده غير معتبر ، (وهذا شبيه بما حصل في قصة إسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه) .

وأظهر الشيخ اضطراب فندر في كثير من أجوبته وكلامه ، وكان هذا يرهق أعصاب فندر ويحرجه ، ويجعله متحيراً ، بإلمام الشيخ . فعند ما استشهد فندر ، على عدم النسخ في الإنجيل ، بقول : بطرس بكلمة الله الحية ، الباقية إلى الأبد ، أتى له الشيخ فوراً بآيات من كلام أشعيا فيها ، وكلمة ربنا تدوم إلى الأبد ، ومع ذلك وقع النسخ في التوراة ، باعتراف فندر ، فأولى به أن يعترف بالنسخ في الإنجيل ، مع وجود هذه الآية فيه ، بالإضافة إلى أن هذه الجملة ، ليست عامة ، لتدل على منع النسخ .

فلما سمع ذلك فندر ، تبرأ من قول بطرس ، وقال : نقلت قول بطرس على طريق السند .

وهكذا لو سرنا معه في هذه المناظرة ، التي كشف فيها تناقضات فندر ، حتى أفحمه وهرب من بقية المناظرة ، لبان لنا الكثير من هزائم هذا القسيس ، الذي غضبت منه حكومته وطردته لأنه انهزم شرّ هزيمة ، فرحم الله الشيخ على جهوده وعلمه (المناظرة ص/٢٥٦) .

أبو يوسف والرشيد :

جاء في وفيات الأعيان ، لابن خلكان : أن جدّ التنوخي قال : كان سبب اتصال أبي يوسف بالرشيد ، أنه كان قدم إلى بغداد ، بعد موت أبي

حنيفة ، رحمه الله ، فحنث بعض القواد في يمين ، فطلب فقيهاً يستفتيه ، فجئ بأبي يوسف ، فأفتاه أنه لم يحنث ، فوهب له دنانير ، وأخذ له داراً بالقرب منه .

ودخل القائد يوماً على الرشيد ، فوجده مغموماً ، فسأله عن سبب غمه ، فقال : شيء من أمور الدين ، قد حزنني ، فاطلب فقيهاً كي أستفتيه ، فجاءه بأبي يوسف .

قال أبو يوسف : فلما دخلت إلى ممر بين الدور ، رأيت فتىً حسناً ، عليه أثر الملك ، وهو في حجرة محبوس ، فأومأ إلي بإصبعه مستفتياً ، فلم أفهم منه إرادته ، وأدخلت على الرشيد .

فلما مثلت بين يديه ، سلمت و وقفت ، فقال لي : ما اسمك ؟ فقلت : يعقوب ، أصلح الله أمير المؤمنين ، قال : ما تقول في إمام شاهد رجلاً يزني هل يحده ؟ قلت : لا .

فحين قلتها سجد الرشيد ، فوقع لي أنه قد رأى بعض أهله على ذلك ، وأن الذي أشار إلي بالاستغاثة هو الزاني .. ثم قال الرشيد : من أين قلت هذا ؟ قلت : لأن رسول الله ﷺ قال : "ادرؤا الحدود بالشبهات" .

وهذه شبهة يسقط الحد معها ، قال : وأي شبهة مع المعاينة ؟ قلت : ليس توجب المعاينة لذلك أكثر مما من العلم بما جرى ، والحدود لا تكون بالعلم ، وليس لأحد أخذ حقه بعلمه ، فسجد مرة أخرى ، وأمر لي بمال جزيل ، وأن ألزم الدار .

فما خرجت حتى جاءتني هدية الفتى ، وهدية أمه وجماعته ، وصار ذلك أصلاً للنعمة ، ولزمت الدار ، فكان هذا الخادم يستفتيني ، وهذا يشاورني ، ولم يزل حالي يقوى عند الرشيد ، حتى قلدني القضاء .

وقال طلحة بن جعفر : أبو يوسف مشهور الأمر ، ظاهر الفضل ، وهو صاحب أبي حنيفة ، و أفقه أهل عصره ، ولم يتقدمه أحد في زمانه ، وكان النهاية في العلم والحكم ، والرياسة والقدر ، وأول من وضع الكتب في أصول الفقه ، على مذهب أبي حنيفة ، وأملى المسائل ونشرها ، وبث علم أبي حنيفة ، في أقطار الأرض (وفيات الأعيان ٦ : ٣٨١ – ٣٨٢) .

ماذا أعددنا ؟

بقلم : الأستاذ اشرف شعبان ابو احمد *

ماذا أعددنا ليوم تنقلب فيه أمريكا وبريطانيا على أية دولة أخرى من الدول العربية والإسلامية ؟ فتتهم سوريا بمساندتها للعراق أو بإخفاء الرئيس العراقي صدام حسين أو أحد أقاربه لديها ، وتتهم إيران بامتلاكها لأسلحة دمار شامل ، وتتهم لبنان بمراعاتها لحزب الله المعادي لإسرائيل ، وتتهم مصر والسعودية والسودان بالاضطهاد الديني للأقليات فيهم ، وتتهم ليبيا بتمويل المنظمات الإرهابية ، وتتهم الجزائر باتساع نشاط المتطرفين فيها ، وتتهم كل دولة بما يتفق مع توجهاتها السياسية من التهم ، فتدور عليها الدائرة وتتعرض للعدوان الثنائي الأمريكي البريطاني بل وقد يتطور العدوان ليصير ثلاثيا أو رباعيا بتحالف دولة أو أكثر من الدول التي تكن عداوة للإسلام وللمسلمين .

ماذا أعددنا لمن يتخذون من أمريكا وإنجلترا واستراليا قبلة وملاذا آمناً لهم ، ويتخذون منهم منبراً للتحريض على غزو هذه أو تلك من الدول وقطع المعونات الاقتصادية عنها لتأديبها ، ومنهم من يشكل حكومة في المهجر استعداداً ليوم الانتقام ليشفي غليله من نظام الحكم ولو على حساب شعب بأكمله ومقدرات دولة بأكملها ، ومثل هؤلاء تتخذهم أمريكا دروعاً بشرية لها في غزوها واحتلالها لأية دولة ، فعلت ذلك في أفغانستان وكذلك في العراق حيث جمعت فصائل المعارضين لنظام الحكم هنا وهناك واستخدمتهم كفيلق لمحاربة بلادهم .

ماذا أعددنا لمقاومة هؤلاء الغزاة المتعطشين لسفك الدماء وقتل الأرواح حيث تقول تنبئاتهم بقرب نهاية العالم وحدوث قتال كبير تسفك فيه أرواح الملايين وها هم متلهفون لهذا اليوم ومتشوقون له ، هل ستجدي معهم الهتافات المدوية في أرجاء المعمورة كافة الرافضة لهذه الحرب ، هل ستجد

* جمهورية مصر العربية .

هذه الهتافات آذانا صاغية تلجم شهوات هؤلاء الغزاة في سفك الدماء وقتل الأنفس والاستيلاء على الثروات ، هل سيجدي معهم مشاهد أشلاء الضحايا المتناثرة هنا وهناك وشلالات الدماء التي تتدفق من الأطفال والنساء والشيوخ والعزل من السلاح وهم يشاهدونها عبر الفضائيات ، هل سيجدي معهم سلاح المقاطعة لمنتجاتهم ونحن لا تقوم لنا قائمة إلا بالاعتماد شبه الكامل على الفتات من مساعدتهم ، هل سيجدي معهم غلق الموانئ البحرية والجوية والحدود البرية أمام تحركاتهم العسكرية من قبل أية دولة وقد لا تستطيع هذه الدولة حماية سمائها من القاذفات المتساقطة عليها ولو عن طريق الخطأ كما يزعم هؤلاء الغزاة ، هل سيجدي معهم سلاح البترول وما تحرك أساطيلهم وطائراتهم ونقل جيوشهم بكامل قوتها عدة وعتاداً ، إلا من أجله .

ماذا أعددنا لنحافظ على استقلال بلادنا ، هذا الاستقلال الذي ضحى في سبيل تحقيقه آباؤنا وأجدادنا على مر عقود طويلة بأرواحهم وأنفسهم ، كما لم يضنوا بما ملكته أيديهم من غال أو نفيس ، ماذا أعددنا حتى لا يرجع بنا التاريخ إلى الوراء نصف قرن من الزمان وقت لم تكن هناك دولة عربية إلا رازحة تحت الاحتلال الأجنبي مهما اختلفت مسمياته وأشكاله ، ومن هذه الدول ما وقعت تحت نيران أكثر من مستعمر ، نصف قرن من الزمان فقط هو ما مضى على معظم دولنا العربية في العصر الحديث بدون احتلال عسكري ، لم يدم بنا الوقت طويلاً لنهنأ بهذا الاستقلال ولنفرح به ، حتى بدأ هؤلاء الغزاة في إعادة الكرة مرة ثانية ، فعلى سبيل المثال لا الحصر أعلن عن استقلال مصر عام ١٩٥٢م والسودان ١٩٥٦م والأردن ١٩٥٨م ، والكويت عام ١٩٦١م واليمن الجنوبي عام ١٩٦٧م والإمارات العربية عام ١٩٧٠م والبحرين عام ١٩٧١م وقطر عام ١٩٧١م وسلطنة عمان في السبعينات ، وكل هذه الدول كانت واقعة تحت الاحتلال الإنجليزي ، وفلسطين اغتصب اليهود جزءاً منها عام ١٩٤٨م ثم احتلوا الجزء الباقي في حرب عام ١٩٦٧م ومن قبل ذلك كانت خاضعة للنفوذ الإنجليزي ، ليبيا خضعت للمستعمر البريطاني والفرنسي والإيطالي ونالت استقلالها عام ١٩٥١م بينما خضعت المغرب وتونس والجزائر للاحتلال الفرنسي وأعلن استقلالها عام ١٩٥٥م وعام ١٩٥٧م وعام ١٩٦٢م على حسب الترتيب ، وأعلن

عن استقلال لبنان وسوريا من نفس المستعمر عام ١٩٤٥م .

فالعدوان قادم ، قادم سواء على هذه أو تلك من الدول ، وسواء أكانت حرباً دينية كما يدعى البعض أو حرباً من أجل السيطرة على منابع الثروات أو من أجل إسرائيل الكبرى كما يدعى البعض الآخر ، ولن تنجو دولة من نيران أسلحتهم سواء كان ذلك في المدى القصير أو الطويل ، وإن نجت الآن فماذا بعد سقوط بغداد وهو ما يصر عليه قادة العدوان ويتوعدون به مهما كلفهم الأمر ، فها هي تصريحاتهم تشير إلى أن سقوط بغداد آت ، آت وإن طال الوقت بهم قليلاً فما هي إلا أيام أو أسابيع معدودة لتحقيق مأربهم ، ولن تصمد العراق طويلاً أمامهم ولن يسمحوا بتكرر ما حدث في فيتنام مرة أخرى ، ولكن هل سيصمد من سيصيبه الدور كما صمد شعب العراق أم سيرضخ مع أول صاروخ يسقط على أحد القصور الرئاسية أو أحد الأحياء الراقية ، فحينما جاء الغرب الصليبي الزاحف يحمل في صدره حقداً أسود على الإسلام وأهله وطعماً في خيرات بلاده ، ساعده على ذلك غفلة المسلمين وغرق حكامهم في الشهوات وتفرقهم من أجل الدنيا وحرصهم على الإمارة واستعداد هؤلاء الأمراء التافهين أن يبيع أحدهم أخاه ويشتري الدخيل الغريب وأن يبيع أمته ويشتري إمارته ، فلا غرو أن ينتصر الصليبيون في أول الأمر وأن يقيموا لهم ممالك وإمارات في ديار الإسلام بالتعاون مع الخونة من الأمراء وأن يدخلوا بيت المقدس بعد مذبحة قتل فيها عشرات الألوف وجرت الدماء للركب وبقي الصليبيون في الشام نحو مائتي عام وبقي بيت المقدس في أيديهم تسعين سنة كاملة ، ثم هيأ الله للإسلام رجالاً صمموا على أن يقاوموا العدوان وأن يستردوا الأرض المغتصبة ويستعيدوا الحق السليب فكان عماد الدين زنكي وابنه البطل نور الدين محمود الشهيد وتلميذه القائد المظفر صلاح الدين الأيوبي الذي كتب الله له النصر على الصليبيين في معركة حطين الشهيرة ، وتم له فتح بيت المقدس وإعادته إلى أمة الإسلام وكانت بعد ذلك معارك في مصر انتهت بأسر لويس التاسع في دار ابن لقمان بالمنصورة ، كما تعرض الإسلام للغزو من الشرق على أيدي التتار الوثنيين الذين هجموا على بلاد الإسلام كالريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ، وقد ظهروا والمسلمون ضعفاء متفرقون ليست لهم قيادة

قوية تجمع صفوفهم ولا نهضة إيمانية توقظ شعوبهم ، والتتار كانوا في ذلك الزمن قوة عسكرية عاتية لها قيادة مهيبة مطاعة لا يقف في وجوههم أولئك الملوك الممزقون والأمراء المفرقون والولاة المترفون فسقطت البلاد في أيديهم بلداً ، بلداً ، وفر الأمراء من أمامهم أو خضعوا لهم أميراً ، أميراً ، والنصر يغري بالنصر والظفر يدفع إلى الظفر حتى كان المثل السائر في ذلك الزمان "إذا قيل لك : إن التتار قد انهزموا فلا تصدق" ! إنها أسطورة القوة التي لا تقهر تتكرر ما بين عصر وآخر ، وأخيراً زحفوا على عاصمة الخلافة العباسية بغداد دار السلام وأرقى بلاد الإسلام فسقطت تحت ضرباتهم وسالت الدماء أنهاراً وأسود نهر دجلة من كثرة ما ألقي فيه من كتب الحضارة ، ولم تكد تمضي سنوات حتى تحققت معجزة الإسلام مرتين ، مرة انتصر الإسلام على التتار عسكرياً في معركة عين جالوت بقيادة القائد المملوكي الصالح سيف الدين قطز الذي حقق الله على يده النصر ومعه جنود مصر في يوم الخامس والعشرين من رمضان سنة ٦٥٨هـ أي بعد سقوط بغداد بسنتين فقط ، وانتصر الإسلام مرة أخرى معنوياً فإذا بهؤلاء الجبابرة الذين غزوا الإسلام يغزوهم الإسلام ، وإذا بسيف الغازي المصلت يسقط أمام تأثير العقيدة الإسلامية العزلاء ، وإذا بهم يدخلون في دين الله !! وبعد الانهيار-والتمزق المتتالي للإمبراطورية العثمانية خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تنبأ الكثير من السياسيين والمستشرقين باختفاء الإسلام تماماً وفي غضون حياتهم ! وقد خيب الله ظنهم وها هي المساجد تنتشر في العالم كله من لوس أنجلوس مروراً بروما وزغرب ، حتى موسكو وبكين ، وفي قرطبة الحاضرة القديمة للخلافة الأموية في الأندلس ، أسس المسلمون الأسبان في عام ١٩٩٤م الجامعة الإسلامية الدولية "آفيروس" وليس بعيداً عن الجامع القديم في قرطبة ، يرفع الآذان ثانياً للصلاة ، يا لها من إثارة أن يحدث هذا بعد خمسمائة سنة من طرد آخر مسلم من الأندلس .

وأخيراً ماذا أعددنا لكي يستجاب دعاؤنا بنصره إخواننا في العراق ، وما الذي غفلنا عنه حتى لا يستجاب لدعائنا بنصره إخواننا في فلسطين ولتحرير المسجد الأقصى مسرى رسول الله ﷺ أول القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين قال الله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ

دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (سورة البقرة الآية/١٨٦) .

ماذا أعددنا لينصرنا الله على عدونا كما وعدنا في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (سورة محمد الآية/٧) وكما في قوله تعالى ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الروم الآية/٤٧) وقوله عز وجل في سورة يونس آية ١٠٣ ﴿كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنْ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (سورة الحج الآية/٣٨) النصر سيتحقق بأذن الله وبمشيئته ولكن الطريق إليه شاق ويحتاج لإعداد العدة له فهل نبدأ في إعدادها ، قال تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (سورة الأنفال الآية/٦٠) فلا بد من إعداد القوة ، وليست أية قوة ولكن القوة التي تمكننا من أن نرهب أعداء الله وأعداءنا ، ولأننا لم ولن نستطيع أن نجاريهم في أسلحتهم الفتاكة والتي تتطور بين الفنية والأخرى ، فقد منَّ الله علينا بسلاح الإيمان وسلاح الاستشهاد ، وهما ركيزتان في النصر عليهم ، فالعمليات الاستشهادية هي التي ستزلزل كيانهم وتقلق مضاجعهم وتزرع الرعب والخوف في قلوبهم وتجعلهم يفرون فر الجرذان ، وطالما هم الذين بدأونا بالغزو وطالما هم الذين أجبرونا على قتالهم ، فيجب علينا الصمود أمامهم مهما كلفنا الأمر وليشهدوا بسالة منا وشجاعة في الذود عن أوطاننا وأعراضنا ، ولا نولهم الأدبار قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ ۞ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (سورة الأنفال الآيتان/ ١٥ – ١٦) .

المراجع :

(١) العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري فتحي يكن من ص/٢١ إلى ص/٤٦ .

(٢) المبشرات بانتصار الإسلام يوسف القرضاوي من ص/٥٠ إلى ٨٢ ومن ص/٦١ إلى ٤٦ .

۞۞۞

الدعوة الإسلامية :

الحوار وأثره في مواجهة العنف

بقلم :الدكتور علي بن عبد الله الزين ✧

الحوار وسيلة مهمة من وسائل القضاء على أخطر الظواهر التي يتعرض لها العالم كله عامة ، والعالم الإسلامي خاصة ، وهي ظاهرة العنف .

أولا : تعريف الحوار :

الحوار لغة : مادة (حور) ترجع إلى ثلاثة معان كما قال أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ) (١) ، أولها : اللون ، ويقصد به النقاء الشديد ، وثانيها : دوران الشيء ، ومنه المحور سمي بذلك لدورانه ، حيث يرجع إلى المكان الذي بدأ منه. وثالثها : الرجوع ، والتحاور التجاوب ، يقول الإنسان : سمعت حوارهما ، والمحاورة المجاوبة ، وهم يتحاورون : أي يتراجعون الكلام ، وتحاوروا تراجعوا الكلام بينهم (٢) ، والمحاورة : مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة ، وإنه لضعيف الحوار : أي : المحاورة والحوار (٣) .

الحوار اصطلاحا : يقصد بالحوار اصطلاحا «حديث شفهي يجري تبادله بين أكثر من فرد ، والصورة الأخرى للحوار هو الكلام المطبوع في صحيفة أو مجلة على شكل عرض وجهات النظر أو تعقيبات أو مداخلات» (٤) .

✧ جامعة الإمام محمد بن سعود ، كلية أصول الدين ، قسم السنة وعلومها .

(١) انظر معجم مقاييس اللغة ، تحقيق وضبط عبد السلام هارون ، ٢/١١٥ – ١٦٦ ، مكتبة الخانجي ، ١٣٠٢هـ/١٩٨١م .

(٢) انظر لسان العرب ، لابن منظور ، مادة (حور) ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، والقاموس المحيط للفيروزآبادي ، فصل الحاء باب الراء ، المكتبة التجارية ، ط ٤ ، ١٩٨٣م .

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس ، للمرتضى الزبيدي ، مادة (حور) ، وزارة الإعلام الكويتية ، ١٩٧٢م .

(٤) بحث "التعامل مع غير المسلمين" ، بحث غير منشور ، أ – د/علي بن عبد الله الزين ، و د/مجدي عاشور ، ص/٣٣٤ .

ثانيا : الحوار في القرآن :

إن آيات القرآن الكريم "كلها حوار ، أو توجيه للحوار ، أو حديث عن الحوار" (٥) ؛ ففيه حوارات بين الله تعالى وأحد مخلوقاته ؛ فقد حاورته الملائكة (٦) ، وحاوره إبليس (٧) ، وحاوره نبيه نوح (٨) ، حاوره نبيه إبراهيم (٩) ، ونبيه موسى (١٠) ، وعيسى (١١) ، وقد حاور نبيُّ الله إبراهيم ربَّه (١٢) ، وأباه (١٣) ، والنمروذ (١٤) ، وحاور موسى عليه السلام ربه (١٥) ، والعبد الصالح الخضر (١٦) ، حاور عيسى ربه (١٧) ، ووالدته (١٨) ، وحاور نبينا محمد جبريل (١٩) ، وزيدا مولاه (٢٠) ، وزوجاته (٢١) ، والحوار بين صاحب الجنة وصديقه في سورة الكهف (٢٢) .

ثالثا : الحوار في السنة :

والحوار في السنة نماذجه كثيرة جداً ، منها حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الحصين والد عمران (٢٣) ، والذي انتهى بإسلام الحصين ، وحواره مع وفد نصارى الحبشة المكون من عشرين رجلا (٢٤) ، وحواره مع نصارى نجران وأحبار يهود (٢٥) ، الذي انتهى إلى المباهلة ، ولكنهم اعتذروا منها .

رابعا : أهمية الحوار :

الحوار طريق آمن ومنهج قويم لإبراز قيم الدين الإسلامي الحنيف (٢٦) ،

---

(٥) بحث "التعامل مع غير المسلمين" ، ص/٣٣٩ .
(٦) البقرة الآية/٣٠ .
(٧) ص : الآية/٧٥ – ٨٥ .
(٨) هود الآية/٤٥ – ٤٧ .
(٩) البقرة الآية/٢٦٠ .
(١٠) الأعراف الآية/١٤٣ .
(١١) المائدة الآية/١١٦ .
(١٢) البقرة الآية/٢٦٠ .
(١٣) مريم الآية/٤٢ – ٤٨ .
(١٤) البقرة الآية/٢٥٨ .
(١٥) الأعراف الآية/١٤٣ .
(١٦) الكهف الآية/٦٥ – ٨٢ .
(١٧) المائدة الآية/١١٦ .
(١٨) مريم الآية/٢٤ – ٢٦ .
(١٩) اقرأ : سورة مريم كلها .
(٢٠) الأحزاب الآية/٣٧ .
(٢١) التحريم الآية/٣ .
(٢٢) الكهف الآية/٣٤ .
(٢٣) ابن حجر في الإصابة ، ٢/٨٧ ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢هـ ، وعزاه لابن خزيمة بإسناده .
(٢٤) انظر سيرة ابن هشام ، ١/٤١٩ ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .
(٢٥) انظر دلائل النبوة للبيهقي ، ٢/٢٩٦ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥ .
(٢٦) انظر "بحث التعامل مع غير المسلمين" ، ص/٣٣٤ .

وحسن منهجه في مقابلة القضايا الكبرى .

١. الحوار وسيلة من وسائل اكتساب العلم ، وقد قال سقراط : "إن العلم يُكشف بطريق الحوار" (٢٧) .

٢. الحوار يعكس روح التسامح التي يجب أن تسود بين المسلمين حتى إن اختلفت مشاربهم واتجاهاتهم ؛ فإذا كان الحوار مطلباً إسلامياً مع غير المسلمين ، ويعطيهم الإسلام حق الدفاع عن عقائدهم ، والاحتجاج لها ، ويضمن لهم حرية التعبير عن موقفهم من الإسلام ، فإن المسلمين الذين يستظلون براية لا إله إلا الله ، محمد رسول الله أولى بالاعتناء بالحوار ، ونشره باعتباره وسيلة لحل كثير من الخلافات .

٣. الحوار وسيلة لتفاعل الأفكار والتصورات المختلفة ، حتى تصل إلى أفضل الصور وأقربها إلى الفهم الصحيح للإسلام ومقاصده التشريعية .

٤. الحوار وسيلة لاستيعاب التعددية الفكرية داخل المجتمع الإسلامي .

٥. الحوار وسيلة لتنقية الفهم الخاطئ للإسلام ونصوصه ، والوسائل ، والمقاصد ، ووسيلة لرد الاعتقادات الشاردة .

٦. الحوار وسيلة لزيادة اليقين بالحق؛ ومصداق ذلك قول إبراهيم عليه السلام : ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ (سورة البقرة الآية/٢٦٠) .

خامسا : ضوابط الحوار :

ولأهمية الحوار وضِعت له ضوابط ، تجعله مؤديا لهدفه بشكل سليم ، وتنأى به عن الانحراف عن هدفه وغايته ، وبدون احترام هذه الضوابط قد يؤدي الحوار إلى عكس ما أريد منه ، فيكون وسيلة للشقاق والتنافر ، ومن هذه الضوابط (٢٨) :

١. أن يجتهد المحاور ويستعين بالله مع إتقان أدائه ، ويفوض أمره إلى الله تعالى في النتائج .

---

(٢٧) انظر بحث "الحوار القرآني" ، حسين حمادة ، مجلة المعارج ، المجلد الأول ع٨/ ص/٣٧ ، بيروت ، ١٤١٢هـ ، بتصرف .

(٢٨) انظر بحث "التعامل مع غير المسلمين" ، ص/٣٣٦ – ٣٣٩ بتصرف كبير .

٢. أن يتحقق كل طرف من المتحاورين بتوافر الرغبة لديه في التعايش مع الآخرين ، وقبولهم تحت مظلة الإسلام .

٣. أن يكون للحوار هدف معين يسعى إلى تحقيقه المحاور المسلم ، وهذا الهدف يجب أن يكون الحق ، وليس الانتصار ولو بالباطل .

٤. الالتزام بالقول الطيب وعدم الإساءة إلى الخصم ، قال تعالى : ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة العنكبوت الآية/٤٦) .

ففي هذه الآية دعوة للمحاور أن يكون عفيف اللسان ، وإذا كان الإسلام يحث على ذلك مع محاورة أهل الكتاب فإن التزامه مع المخالف المسلم أولى .

٥. أن يختار المحاور المخاطَبين الذين يجدي معهم الحوار ، والذين يريدون أن يصلوا إلى الحق .

٦. أن يحرص كل طرف من أطراف الحوار على الموضوعية والنزاهة ، فينبغي أن يكون هدف كل منهم الحق في حد ذاته بصرف النظر عن قائله .

٧. أن يستخدم المحاور الأسلوب الملائم لإدارة الحوار .

٨. أن يراعي المحاور المستوى الفكري لمن يحاوره ، فلكل مستوى أسلوب في الحوار يناسبه ، مصداقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ورد أنه قال : "حدثوا الناس بما يعرفون" (٢٩) .

٩. يشترط في المحاور أن يكون قادراً على إقامة الحجة إحقاقا للحق ، وعلى وضع الحكمة في موضعها ، فإن وضع الحكمة في غير موضعها إضرار بها ، ومنعها أهلها إضرار بهم (٣٠) .

أن يلتزم المحاور الدقة في اختيار الألفاظ والعبارات مع لين في القول ، فلا غلظة ولا شدة ولا تعنيف ؛ حتى يؤتي الحوار ثماره .

١٠. أن يكون المحاور شجاعاً جريئاً في إعلان ما يعتقده حقا ، ولا يخشى في الله لومة لائم ؛ فالسكوت عن الحق نوع من المهادنة مع أهل الباطل .

---

(٢٩) ورد في صحيح البخاري ١/٥٩ ، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ ، عن علي موقوفا ، وورد نحوه في مقدمة صحيح مسلم ١/١١ عن ابن مسعود رضي الله عنه : "ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة" .

(٣٠) انظر القسطاس المستقيم ، للغزالي ، ص/٧٠ ، القاهرة ، ١٩٦٢م .

١١. أن يلتزم المحاورُ العدلَ ويتحرى العدالة مع خصمه حتى ولو كان عدواً له ، قال تعالى : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (سورة المائدة الآية/٨) .

١٢. ألا يظن أحد المحاورين في نفسه أنه أفضل من الآخر ؛ فقد يؤدي ذلك إلى إحساس الطرف الآخر بالازدراء ؛ مما يدفعه إلى المعاندة والكبر .

سادسا : تعريف العنف :

العنف لغة : العنف : قلة الرفق بالأمر ، وهو ضد الرفق ، والتعنيف : التعيير واللوم (٣١) والعنيف : من لا رفق له بركوب الخيل ، والشديد من القول (٣٢) .

العنف اصطلاحاً : رغم انتشار مصطلحات العنف والإرهاب على الألسنة ، وفي القنوات الفضائية والمحطات المسموعة ، فإنه لم يُتفق على تعريف واضح ومحدد لهذه المصطلحات دولياً (٣٣).ونلاحظ تعريف الإرهاب بالعنف والتهديد به ، فالمصطلحان يتعاقبان بالمعنى نفسه والتعريفات نفسها ، والأحكام نفسها ، فكل إرهاب عنف ، ولكن ليس كل عنف إرهابا .

سابعا : العنف في الحديث النبوي :

في الأحاديث الشريفة حثٌّ على الرفق والترغيب فيه ، كما ورد فيه حالات من حالات العنف تعرض لها النبي صلى الله عليه وسلم ، وقابلها بالحكمة والموعظة الحسنة ، واللين ؛ أي فيه حثٌّ نظريٌّ وقدوة عملية :

١- عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل رهطٌ من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : السام عليكم. قالت عائشة رضي الله عنها : ففهمتها فقلت : وعليكم السَّام واللعنة. قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مهلاً يا عائشة ، إن الله يحب الرفق في الأمر كله».فقلت : يا رسول الله ! أولم تسمع ما قالوا ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «قد قلت وعليكم» (٣٤) .

٢- عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(٣١) انظر لسان العرب ، لابن منظور (عنف) . (٣٢) انظر القاموس المحيط ، للفيروزآبادي ، ٣/١٧٨ . (٣٣) انظر "الإرهاب مظاهره وأشكاله وفقاً للاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب" ، ص/١٠ ، محمد الحسيني مصيلحي ، (http:/www.al-islam.com) .

«يا عائشة ! إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطى على العنف ، وما لا يعطي على سواه» (٣٥) .

٣- وعنه صلى الله عليه وسلم : «إن الله تبارك وتعالى رفيق يحب الرفق ، ويرضى به ، ويعين عليه ما لا يعين على العنف» (٣٦) .

٤- وعنه صلى الله عليه وسلم : «إن الله – عز وجل – ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق (وهو الجهل والحمق) ، وإذا أحب الله عبداً أعطاه الرفق ، ما من أهل بيت يحرمون الرفق إلا حرموا الخير» (٣٧) .

٥- وعن أبي الدرداء – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : «من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير ، ومن حرم حظه من الرفق ، فقد حرم حظه من الخير» (٣٨) .

فهذه عدة أحاديث قدم فيها الرسول صلى الله عليه وسلم القدوة في مواجهة عنف اليهود ، وجورهم عليهم في القول ، وفيها حث على الرفق ، والتخلي عن العنف .

ثامنا : أثر الحوار في مواجهة العنف :

أسباب العنف كثيرة ، منها أسباب فكرية ، وأسباب اقتصادية ، وأسباب سياسية ، وأسباب اجتماعية ، وأسباب نفسية ، وأسباب تربوية ، إلى جانب وجود وسائط مساعدة ، مثل الإعلام ، وأصدقاء السوء ، والترف المادي (٣٩) .

والحوار يعالج الأسباب الفكرية للعنف وبعض السياسية الناتجة عن "التحزبات السرية التي نتجت عن قراءات خاصة ومفاهيم خاطئة لايعرفها أهل العلم" (٤٠) .

(٣٤) صحيح البخاري (٦٠٢٤) . (٣٥) صحيح مسلم (٢٥٩٣) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . (٣٦) موطأ مالك (٣٥٩٠) ، تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي ، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م . (٣٧) المعجم الكبير للطبراني (٢٢٧٤) ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م . (٣٨) سنن الترمذي (٢٠١٣) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . (٣٩) انظر بحث "أسباب الإرهاب والعنف والتطرف ، دراسة تحليلية" ، أسماء بنت عبد العزيز الحسين ، ضمن مجموعة كتب موقع الإسلام (http:/www.al-islam.com) .

فالحوار يخرج هذه الأفكار من الخفاء إلى العلن ؛ لتقاس بميزان الشرع الصحيح ، في فهم العلماء الصالحين ، وهذا ما أكد عليه المختصون ، حيث يقول الباحث السيد محمد الحسيني : "الحوارات الوطنية في الأقطار العربية مطلب ضروري ؛ لأنها تضمن توثيق الصلة بين الدولة والمجتمع المدني ، وتضمن كذلك إتاحة الفرصة أمام القطاعات المختلفة للإسهام بنصيب في صياغة التوجهات السياسية ، والمشاركة في مواجهة أزمات الأمة" (٤١) .

وقال محمد الهواري : "إن فتح قنوات الحوار أمر إيجابي حيث يضع المتطرفين والإرهابيين في دائرة التفكير بصوت عال من ناحية ، ويضع فكر ومعتقدات التطرف تحت مطارق النقد والمصارحة والمكاشفة من ناحية أخرى" (٤٢) .

وقد ظهر مصداق ذلك في مراجعات الجماعات التي اتخذت العنف وسيلة لمواجهة المجتمع ، فعندما ضمتهم السجون ، وسكنت عنهم فورة الحمية والغضب ، وارتفع صوت العقل ، وهيأت الحكومات حوارات معهم . سميت في المملكة العربية السعودية بالنصيحة ، أنتج ذلك تخلي كثير منهم عن الفكر العنيف ، إلى التعقل .

وهناك تجارب في التاريخ تصدق هذا أيضاً ، منها :

١- الحوار بين موسى وأخيه هارون ، فقد قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.(سورة الأعراف الآية/١٥٠ – ١٥١) .

---

(٤٠) بحث "أسباب الإرهاب والعنف والتطرف" ، لصالح بن غانم السدلان ، ضمن مجموعة كتب من موقع الإسلام (http:/www.al-islam.com) .

(٤١) تعقيب في "تحديات العالم العربي في ظل المتغيرات الدولية" ، السيد محمد الحسيني أعمال المؤتمر الدولي الثاني الذي نظمه مركز الدراسات العربي الأوروبي ، القاهرة من ٢٥ – ١٩٩٤/١/٢٧م ، مركز الدراسات العربي الأوروبي ، باريس ١٩٩٤م ، ص/٤٧٦ – ٤٧٨ .

قال ابن جرير الطبري(ت٣١٠هـ) في تفسير هذه الآية (٤٣) : «قال موسى ، لما تبين له عذر أخيه ، وعلم أنه لم يفرط في الواجب الذي كان عليه من أمر الله ، في ارتكاب ما فعله الجهلة من عبدة العجل : "رب اغفر لي" ، مستغفرًا من فعله بأخيه» .

ففي هذا الحدث الجلل ، وهو ارتداد أمة كاملة عن الإيمان بالله ، كان الحوار ذا جدوى في الاطلاع على عذر أخيه ، وقبوله ، وقابل هارون عنف أخيه بالحوار ، مما كان له أكبر الأثر في سكوت الغضب عنه .

١. الحوار بين ابن عباس والخوارج ، هو في نظري أقوى الأدلة على نجاح الحوار في أحلك الحالات ، لأنه يشبه في ظروفه ومنطقه كثيراً من أسباب العنف ومواجهاته في حياتنا المعاصرة ، فقد كانوا ينقمون من علي ثلاثاً : أنه حكّم الرجال في دين الله ، والله يقول : إن الحكم إلا لله ، وما زال هذا الشعار مستخدما عند جماعات العنف المسلح حتى اليوم. وأنه قاتل ، ثم لم يأخذ من مقاتليه سبيا ولا غنائم ، فإن كانوا كفاراً ، فقد حلّت أموالهم ، وان كانوا مؤمنين فقد حرّمت عليه دماؤهم !! وأنه رضي عند التحكيم أن يخلع عن نفسه صفة أمير المؤمنين ، استجابة لأعدائه ، فان لم يكن أمير المؤمنين ، فهو أمير الكافرين .

وقد رد ابن عباس رضي الله عنهما على هذا المنطق بمنطق أقوى ، وأوقع ، مخاطبا العقل الهادئ البعيد عن الغضب والصخب ، جاذباً النظر إلى المضار التي ستقع لو لم يفعل علي ما فعله ، فقال :

تحكيم الرجال في دين الله . لا بأس به ، فقد حكم الله تعالى الرجال في قتل المحرم الصيد ، فقال الله تعالى : ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾.أتحكيم الرجال في حقن دماء المسلمين أحق وأولى ، أم تحكيمهم في أرنب ثمنها درهم .

ثم رد على الثانية بالمنطق السهل اللين المسكت قائلا : فلم يسب ولم يغنم ، لأن المسبيّة ستكون عائشة زوج الرسول وأم المؤمنين ، والغنائم ستكون غنائمها ، فأين حرمة رسول الله ، وحرمة أمهات المؤمنين .

---

(٤٢) الإرهاب المفهوم والأسباب وسبل العلاج ، محمد الخواري ، ص/٤١ (http:/www.al-islam.com) .

وبالمنطق نفسه رد على الثالثة ، قائلا : إن الرسول صلى الله عليه وسلم تخلى يوم صلح الحديبية عن وصف نفسه برسول الله ، وجعل الكاتب يكتب بدلا منها محمد بن عبد الله ، فهذا النبي القدوة قد فعلها لمصلحة أعلى .

وما كاد ينهي هذا الحوار حتى رجع عن هذا الفكر عشرون ألفا ، عشرون ألفا حُقنت دماؤهم ببضع كلمات (٤٤) .

٢. وعلى العكس من ذلك ، نلاحظ أن موسى لما واجه ما فعله الخضر عليه السلام ، من خرق السفينة ، وقتل الغلام ، وبناء الجدار لقوم لم يضيِّفوهم ، باللوم والتعنيف ، أضاع كثيراً من الحِكَم التي كان من الممكن أن يتعلمها من الخضر لو طالت صحبته له (٤٥) .

٣. حوار عمر بن الخطاب مع أخته وختَنه ، حيث عدا على ختنه ووطئه وطأ شديدا لما قال له عمر :"لعلكما قد صبئتما" ؟ فرد عليه قائلا : "أرأيت يا عمر ! إن كان الحق في غير دينك". فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فنفحها بيده نفحة فدمى وجهها فقالت وهي غضبى : "يا عمر ! إن كان الحق في غير دينك ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله" (٤٦) .

فهذا نموذج لمواجهة العنف بالحكمة والرفق واللين ، وقد أتى ثماره . لما قرعت مسامع عمر هذه الحكمة الرصينة الهادئة مرتين : مرة من فم ختنه ، ومرة من فم أخته : إن كان الحق في غير دينك ، لو كانت استعدت على أخيه رجال قريش فربما أنقذوا زوجها من بين يدي عمر ولاموه ، ولو كان واجهه بسيفه مدافعاً عن بيته وله الحق ، لربما كسب الموقف ، وخسر إسلام عمر ، ولكنه لما سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو له بالإسلام ، رجا أن يكون المنطق اللين سبباً في إنفاذ دعوة النبي صلى الله عليه وسلم .

---

(٤٣) تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) ، لمحمد بن جرير الطبري ١٣/١٣٧ ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .

(٤٤) انظر المعرفة والتاريخ ، للفسوي ، ١/٢٨٥ ، تحقيق : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٤٥) انظر سورة الكهف : الآية/٦٥ – ٨٢ .

(٤٦) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ، ٣/٢٦٨ ، دار صادر ، بيروت .

الأسس الشرعية
للتفاهم والتقارب مع الديانات

(الحلقة الثانية الأخيرة)

بقلم : الدكتور محمد شاهجهان الندوي ✧

الأساس الخامس : الخلق عيال الله :

يعتبر الإسلام الخلق كله عيال الله تعالى ، وبالتالي يعد الإحسان وإيصال النفع إليهم ، وتحقيق مصالحهم ، عملا ذا أجر كبير وثواب جسيم ، حيث قال النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – : «الْخَلْقُ عِيَالُ اللهِ ، فَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللهِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَى عِيَالِهِ» ، (أخرجه الشاشي في مسنده رقم ٤٣٥ . والطبراني في الأوسط ٥٥٤١ ، والبيهقي في "شعب الإيمان" ٧٠٤٨ عن عبد الله) ، ولم يأمر بالإحسان إليهم فحسب ، بل جعله وسيلة من وسائل نيل حب الله تعالى وقربه وحظوته ، فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «الْخَلْقُ عِيَالُ اللهِ ، فَأَحَبُّهُمْ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ» ، (أخرجه الطيالسي في مسنده رقم ٣٣٧٠ ، ٣٤٧٨ ، والبيهقي في "الشعب" ٧٠٤٥ ، والبزار ٦٩٤٧ ، وفي إسناده مقال) ، ولأجل أن المطلوب هوالإحسان إلى الخلق ، جعل القرآن الكريم شن الغارة والنهب والسلب والغصب وقطع الطريق (Robbery) جريمة تشبه جريمة الصد عن سبيل الله ، فقد نبه سيدنا شعيب – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – قومه على هذه الفعلة الشنيعة التي تحولت إلى وسيلة من وسائل معاشهم ، فقال – كما حكى القرآن الكريم – : ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ ، (٧/الأعراف : ٨٦) ، وحذر سيدنا لوط – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – قومه – كذلك – من مغبة هذه الجريمة النكراء ، حيث حكى عنه القرآن بقوله : ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ ، (٢٩/العنكبوت : ٢٩) ، وجعل الإسلام كل نفس إنسانية ذات حرمة وعصمة بحيث لا يجوز انتهاكها بدون الحق ، فقد قال تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ، (٦/الأنعام : ١٥١) ، وقتل النفس

✧ أستاذ الحديث الشريف والفقه الإسلامي بالجامعة الإسلامية ، شانتافورم ، مالافورم ، كيرالا ، الهند .

بدون حق جريمة شنيعة في نظر الإسلام حيث جعل قتل نفس إنسانية واحدة ، مثل قتل الإنسانية كلها ، فقد قال سبحانه : ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ ، (٦/المائدة : ٣٢) ، ولذا كانت إزالة الفتنة والفساد وإقامة الأمن والسلام من أهم مقاصد الإسلام ، فإنه يريد إنشاء مجتمع يقوم على احترام الإنسانية والإحسان إليها ، فمن الظلم البين عنده أن يحرم المرء من حياته ، ولأجل ذلك قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : "أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء" ، (أخرجه البخاري ٦٥٣٣ ، ٦٨٦٤ ، ومسلم ١٦٧٨ ، وأبويعلى ٥٠٩٩ ، وابن ماجة ٢٦١٧) ، ولا يتوقف احترام النفس الإنسانية في نظر الإسلام على الكبار البالغين ، بل يتعدى إلى الوليد الجديد كذلك ، فقد قال – عز وجل – : ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (٨١/التكوير : ٨ – ٩) ، ولا يحب الله تعالى تشويه وجه العالم وتقبيحه وإحداث الهلاك والدمار في الكرة الأرضية والمعمورة البشرية ، حيث قال سبحانه : ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ (٧/الأعراف : ٥٦) ، فلا شك أن الإسلام يتوخى الخير والفلاح للبشرية جمعاء ، ولذا يتجلى تصور الإحسان إلى الإنسانية كلها في جميع مبادئه وأصوله وضوابطه ومثله الخلقية ، حتى في عباداته ، فلا ينهى الله تعالى عن بر غير المسلمين وصلتهم ومعاملتهم بالعدل والإنصاف ، وفعل الخير لهم ، حيث قال – عز وجل – : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٦٠/الممتحنة : ٨ – ٩) ، فلا عنصرية ولا قومية ولا عصبية في الإسلام ، ولا عداوة مع الذين لا يعادون المسلمين ، بل يأمر الإسلام حتى في حالة الدفاع بمقابلة الإساءة بالإحسان ، والفعلة السيئة بالعفو ، حيث قال سبحانه : ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (٢٣/المؤمنون : ٩٦) وقال تعالى : ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۞ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٤١/فصلت : ٣٤ – ٣٦) ، ولذا جعل القرآن الكريم الإنفاق على غير المسلمين ومؤاساتهم وتغطية حاجاتهم ، وتقديم المساعدة إليهم ، من باب الإنفاق في سبيل الله تعالى ، حيث قال – عز وجل – :

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (٢/البقرة : ٢٧٢) ، يكتب ابن كثير – وهويبين خلفية وسبب نزول هذه الآية – : "أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِأَلَّا يتصدق إلا عَلَى أَهْلِ الإِسْلامِ، حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ : ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ إِلَى آخِرِهَا ، فَأَمَرَ بِالصَّدَقَةِ بَعْدَهَا عَلَى كُلِّ مَنْ سَأَلَكَ مِنْ كُلِّ دِينٍ" ، (تفسير ابن كثير ١/٧٠٤ ، دار طيبة ، ط : ٢ ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩) ، فصححت الآية اتجاه المسلمين وأمرتهم بالإنفاق على المحتاجين من غير المسلمين ، فقال النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – بعد ذلك : «تَصَدَّقُوا عَلَى أَهْلِ الأَدْيَانِ» ، (أخرجه ابن أبي شيبة ١٠٣٩٨ ، وإسناده صحيح) ، وعَنِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ ، قَالَ : «كَرِهَ النَّاسُ أَنْ يَتَصَدَّقُوا عَلَى الْمُشْرِكِينَ» ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ (البقرة : ٢٧٢) قَالَ : «فَتَصَدَّقَ النَّاسُ عَلَيْهِمْ» ، (أخرجه ابن أبي شيبة ١٠٣٩٩) ولذا قال أبوحنيفة – رحمه الله تعالى – : "يجوز أن يدفع إلى الذمي ما سوى ذلك من الصدقة (غير الزكاة) ، (المرغيناني ، الهداية شرح بداية المبتدي ١/١١١ ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي) ، وقد أمر الإسلام المسلم أن يكون خير جار ، فلا يؤذي جاره ولا يؤلمه ، ولا يتسبب في قلقه النفسي واضطرابه العقلي ، حتى يشعر جاره بالأمن منه على نفسه وعرضه وحرمته وماله ، ويقوم بأعماله في حياته بهدوء وراحة ، حيث قال تعالى : ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ (٤/النساء : ٣٦) ، فَالْوَصَاةُ بِالْجَارِ مَأْمُورٌ بِهَا مَنْدُوبٌ إِلَيْهَا مُسْلِمًا كَانَ أَوْ كَافِرًا ، وَهُوَ الصَّحِيحُ. وَالْإِحْسَانُ قَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى الْمُوَاسَاةِ ، وَقَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى حُسْنِ الْعِشْرَةِ وَكَفِّ الْأَذَى وَالْمُحَامَاةِ دُونَهُ.(القرطبي ،أبوعبد الله محمد بن أحمد (ت : ٦٧١ هـ) "الجامع لأحكام القرآن" ٥/١٨٤ ط : ٢ ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م) ، وقال النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – : "وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ» قِيلَ : وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ» ، (أخرجه البخاري رقم ٦٠١٦ ، ومسلم ٤٦ ، وأحمد ٧٨٧٨) ، و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلا يُؤْذِ جَارَهُ ، مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْلِيَصْمُتْ" ، (أخرجه البخاري ٦١٣٦ ، ومسلم ٤٧ ، وأحمد ٩٩٦٧) ، وقَالَ الْعُلَمَاءُ : الأَحَادِيثُ فِي إِكْرَامِ الْجَارِ جَاءَتْ مُطْلَقَةً غَيْرَ مُقَيَّدَةٍ حَتَّى الْكَافِرِ ، (القرطبي ، تفسير القرطبي ٥/١٨٨) .

ويأمر الإسلام – كذلك – بمساعدة الفقراء والمحتاجين ، وإطعام الجائعين وعيادة المرضى وتقديم المساعدة إلى الفقراء ، ومد يد التعاون إليهم بدون تفريق بين المسلم والكافر ، حيث ورد في حديث قدسي عن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي ، قَالَ : يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوعُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي ، قَالَ : يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلانٌ ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوأَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي ، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ ، فَلَمْ تَسْقِنِي ، قَالَ : يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، قَالَ : اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ ، أَمَا إِنَّكَ لَوسَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي" ، (أخرجه مسلم رقم ٢٥٦٩ ، والبخاري في "المفرد" ٥١٧ ، وابن حبان ٢٦٩) .

ولا شك أن التوجيهات الخلقية والتعاليم الأدبية التي قدمت إلى المسلمين للتحلي بها ، لا تختص بالمعاملة مع المسلمين ، بل تشمل غير المسلمين كذلك ، فقد قال الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – : «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ» ، (أخرجه الحميدي رقم ٥٩٥ ، والبخاري في "المفرد" ١١٤٤ ، وأحمد ٦٥١٥) ، وهذا لا يختص بالمسلمين ، بل يعم غير المسلمين كذلك ، ويؤيده ما روي عن معاذ وأبي ذر (رضي الله عنهما) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ" ، (أخرجه الترمذي ١٩٨٧ ، وابن حبان ٥٢٤ ، وأحمد ٢١٣٥٤ ، و٢١٩٨٨ ، وهوحديث حسن) ، فعممه – صلى الله تعالى عليه وسلم – ، ولم يخصه بالمسلمين ، فكما لا يجوز إيذاء المسلم ، فكذلك لا يجوز إيذاء غير المسلم ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ» (أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق رقم ١٧٢ ، والقضاعي في "مسند الشهاب" رقم ١٣٢ ، وهوحديث صحيح) ، ومد يد التعاون كما هومطلوب مع المسلم ، فكذلك مطلوب مع غير المسلم ، حيث قال الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – : "السَّاعِي

عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوكَالَّذِي يَقُومُ اللَّيْلَ ، وَيَصُومُ النَّهَارَ" ، (أخرجه البخاري ٥٣٥٣ ، ومسلم ٢٩٨٢) ، ولا يجوز ضرب الإنسان مسلما كان أوغير مسلم ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "أَجِيبُوا الدَّاعِيَ ، وَلا تَرُدُّوا الْهَدِيَّةَ ، وَلَا تَضْرِبُوا الْمُسْلِمِينَ" ، (أخرجه أحمد رقم ٣٨٣٨ ، وأبويعلى ٥٤١٢ ، والبخاري في "المفرد" ١٥٧ ، وهوحديث صحيح) ، وجاء في شرحه : "فضرب المسلم حرام بل كبيرة والتعبير بالمسلم غالبي فمن له ذمة أوعهد معتبر يحرم ضربه تعدياً" ، (المناوي ، زين الدين محمد ، عبد الرؤوف (ت : ١٠٣١ هـ) ، "فيض القدير شرح الجامع الصغير" ١٦٤/١ ، ط : ١ ، مصر ، المكتبة التجارية الكبرى ١٣٥٦ هـ) ، ولا يسلك مع المسلم أوغير المسلم سلوكا غير جميل ، فعن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه» ، (أخرجه ابن ماجه رقم ٣٧٤٧ ، وفي إسناده مقال) ، وجاء في شرحه : "وذكر الأخ غالبي فلواستشاره ذمي كان كذلك" ، (المرجع السابق ٢٧٥/١) ، والعدل مطلوب مع كل شخص ، حيث قال النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – : "تَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا ، أَوتَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ» قَالَ : «وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ ، وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» ، (أخرجه البخاري رقم ٢٧٠٧ ، ٢٨٩١ ، ٢٩٨٩ ، و مسلم رقم ١٠٠٩ ، وابن حبان ٣٣٨١) ، وفي مال المسلم حق للسائلين والمحرومين والمكروبين ، سواء كانوا مسلمين أم كافرين ، فقد قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۞ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (٧٠/المعارج : ٢٤ – ٢٥) ، فدلت الآية على أن إعانة الفقراء والمحتاجين على سبيل البر والصلة لا تتوقف على المسلمين .

وقد ذهب ابن عباس ، وأبو أمامة ، وابن أبي محيريز إلى أنه يجوز ابتداء المسلمين لغير المسلمين بالسلام ، لأن إبراهيم – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – سلَّم على أبيه المشرك ، حيث قال تعالى : ﴿سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (١٩/مريم : ٤٧) ، وقال – عز وجل – : ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (٤/النساء : ٨٦) ، ولأن الأحاديث القاضية بإفشاء السلام عامة ، كحديث : "أيها الناس ! أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام وصلوا بالليل

والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام» ، (أخرجه ابن ماجه رقم ١٣٣٤ ، ٣٢٥١ ، وإسناده صحيح) ، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرورَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ ؟ قَالَ : «تُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ» ، (أخرجه البخاري رقم ١٢ ، ٢٨ ، ٦٢٣٦ ،ومسلم ٣٩) ، (راجع : شرح النووي على صحيح مسلم ١٥٣/١٤ ، ط : ١ ، القاهرة ، مؤسسة المختار ، ٢٠٠١ م) ، وأما حديث : "لا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَلاَ النَّصَارَى بالسَّلاَمِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ ، فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ»، (أخرجه مسلم رقم ٢١٦٧ ، والترمذي ١٦٠٢) ، فمحمول على حالة المحاربة .

ولا يخفى أن الإحسان في نظر الإسلام مطلوب حتى مع الأسارى ، حيث قال الله تعالى في صفات الصالحين من العباد : ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً ۞ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾ (٧٦/الإنسان : ٨ – ١٠) ، والمحاربة لا تقطع العلاقات الإنسانية العامة ، فما كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يفرح بمصيبة الآخرين ، وقد ساعد النبي – صلى الله عليه وسلم – المعادين للإسلام والمسلمين في أدق أحوالهم ، حيث قال لثمامة : أن يبيع قريشا ما تحتاجه من الحنطة ، (ابن القيم ، محمد بن أبي بكر (ت : ٧٥١ هـ) "زاد المعاد في هدي خير العباد" ٣ / ٢٤٧ – ٢٤٨ ، ط : ٢٧ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م) ، وأمر أبا بصير بالرجوع إلى المدينة ، لما أرسلت قريش إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – تناشده الله والرحم ، (المرجع السابق ٢٦٤/٣) .

والرحمة والشفقة والمحبة والمودة ، والمؤاساة ، والتعاون والتناصر مطلوب مع كل شخص ، والابتعاد عن القساوة القلبية ومظاهر الظلم والجور لازم في حق كل شخص ، ويطلب من كل امرئ أن يسلك مع أبناء جنسه ما يرجوه من الله تعالى ، فإنه يتمتع بمظاهر رحمته مع علاته وضعفه ، فلا يطيش ولا يهيج ، ولا يشتعل غضباً على بني جنسه وجلدته ، فقد قال تعالى : ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ (٩٠/البلد : ١٧) ، والإحسان وايتاء ذي القربى ، وصلة الأبوين وصلة الأرحام مطلوبة ، وإن كان الوالدان والأقرباء مشركين ، حيث قال تعالى : ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا

لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾ ، (٣١/لقمان : ١٥) ، وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ ، إِذْ عَاهَدُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُدَّتِهِمْ مَعَ أَبِيهَا ، فَاسْتَفْتَتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ عَلَيَّ وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُهَا ؟ قَالَ : «نَعَمْ صِلِيهَا» ، (أخرجه البخاري رقم ٢٦٢٠ ، ٣١٣٨ ، ومسلم ١٠٠٣) ، وجاء في شرحه : "وفيه جواز صلة القريب المشرك" ، (شرح النووي على صحيح مسلم ٩٣/٧) .

الأساس السادس : الحوار :

الحوار مبدأ عظيم من مبادئ الإسلام ، فقد أمر به القرآن الكريم لنشر قيم الخير والحق والفضيلة ، وتنمية العلاقات السلمية بين أصحاب الديانات المختلفة ، وإقامة العدل ، وإقرار التسامح الديني بين معتنقي الأديان المختلفة ، بغض النظر عن توجهاتهم الفكرية والإيديولوجية (Ideologic) ، حيث قال تعالى : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (١٠٩/الكافرون : ٦) ، وقد حمل القرآن الكريم كل إنسان مسؤوليته عن نفسه ، وبالتالي يترتب الجزاء حسب الأعمال الحسنة أوالسيئة ، فقد قال تعالى : ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٠/يونس : ٤١) ، وقال سبحانه في صفات المؤمنين الكاملين : ﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ (٢٨/القصص : ٥٥) ، ولا بد أن يكون الحوار علمياً وهادئاً ، وخالياً من الشعور بالتفوق العنصري والاستعلاء الحضاري ، وروح الهيمنة (Supermacy) والسيطرة (Hegemony) الثقافية في نظر الإسلام ، لأن الحوار الهادئ هوالذي يؤدي إلى التفاعل الحضاري (Civilizational interaction) ، والتواصل الثقافي (Cultural inter –connection) ، والحوار الهادف هوالذي يقيم قيم ومثل التسامح ، ويذكي روح التعارف الثقافي والعلمي ، وبالتالي ينتج التعامل السامي الهادف بين الشعوب والأمم بعضها مع بعضها الآخر ، ويثري العلاقات الدولية ، وينعش الاتصال بين شعوب العالم وأممه ، حيث قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٤٩/الحجرات : ١٣) .

ومن الحقائق الجلية أنه يتحتم في نظر الإسلام أن لا يكون الحوار معتمدا على التفاهم مع الشرك والكفر وأعمال الشرك ، فإنه لا لقاء بين الكفر والإيمان ، ولا بين أصحاب العداوة الدينية الحاقدة المتمكنة المتأصلة في النفس مع الإسلام وأهله ، كما يجب أن لا يكون الحوار لأن تتخلى الأمة الإسلامية عن هويتها وخصائصها الذاتية وتصوراتها الفكرية ، لأنه نوع من أنواع التبعية (Subordination) الثقافية والفكرية ، والغزوالثقافي والعدوان الحضاري ، ولا شك أن مثل هذا الحوار يفضي إلى محوالحضارة الإسلامية الرائعة ، وذوبان الأمة الإسلامية في ثقافات وحضارات الأمم الأخرى ، ويخلومن معنى العطاء المتوازن ، والمنفعة والمصلحة المتبادلة ، فدعا القرآن المجيد إلى كلمة عادلة مستقيمة ، ليس فيها ميل عن الحق ، فقد قال تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٣/آل عمران : ٦٤) ، وقد كان حوار النبي – صلى الله عليه وسلم – مع الوفود على أساس أن ملتقى الأديان هو الانضمام إلى راية التوحيد ، وهي كلمة "لا إله إلا الله" ، وعبادته وحده ، والاعتماد على أنه المشرع الوحيد ، فإذا لم يؤمنوا ، فلا إكراه في الدين ، ولا يتعرض لهم ماداموا مصلحين بعيدين عن الفتنة ، فقد كتب النبي – صلى الله عليه وسلم – لِلأُسْقُفِ أَبِي الْحَارِثِ وَكُلِّ أَسَاقِفَةِ نَجْرَانَ وَكَهَنَتِهِمْ وَرُهْبَانِهِمْ وَبِيَعِهِمْ وَأَهْلِ بِيَعِهِمْ وَرَقِيقِهِمْ وَمِلَّتِهِمْ وَمُتَوَاطِئِهِمْ ، وَعَلَى كُلِّ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ قَلِيلٍ أَوكَثِيرٍ ، جِوَارُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لاَ يُغَيَّرُ أُسقفٌ من أسقفيّته ، وَلاَ رَاهِبٌ مِنْ رَهْبَانِيَّتِهِ ، وَلاَ كَاهِنٌ مِنْ كَهَانَتِهِ ، وَلاَ يُغَيَّرُ حَقٌّ مِنْ حُقُوقِهِمْ ، وَلاَ سُلْطَانِهِمْ وَلاَ مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ عَلَى ذَلِكَ ، جِوَارُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَبَدًا مَا نَصَحُوا اللَّهَ وَأَصْلَحُوا عَلَيْهِمْ غَيْرَ مُثْقَلِينَ بِظُلْمٍ وَلاَ ظَالِمِينَ (البيهقي ، "دلائل النبوة" ٣٩١/٥ ، ط : ١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥ هـ) ، فكان حوار النبي – صلى الله عليه وسلم – هادفاً بقصد الوصول إلى الحق ، وإقرار السلام ، والتعايش السلمي ، دون سفك الدماء والمخاصمة الباطلة ، حيث قال تعالى : ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (١٦/النحل : ١٢٥) ، فأهداف الحوار في الكتاب والسنة ، تدل دلالة واضحة على التفاهم والتقارب مع الديانات ، والاعتراف

بواقع الأديان والحضارات والثقافات واللغات والقوميات الأخرى ، والإقرار بالتعدد والاختلاف ، والدعوة إلى التعايش الحضاري والثقافي السلمي بين بني النوع البشري ، دون جعل العالم عالماً واحداً موجهاً توجيهاً واحداً في إطار حضارة واحدة ، ودون رسم للبشرية طريقا واحدا ووجهة واحدة ، وحكما واحدا ، ونظاما واحدا ، بالإكراه والقهر ، وفرض ثقافته ومعتقداته .

ولا شك أنه بهذا الطريق يتم منع الصدام والصراع ، والتناحر والتقاتل والتنافر ، والطغيان والعدوان ، وتنشأ علاقة احترام متبادل ، وحوار وتفاهم ، وتواصل وتعاون ، وتضامن وتوازن .

مجالات التفاهم والتقارب مع الديانات :

إن مجالات التفاهم والتقارب مع الديانات هي المجالات الإنسانية العامة وهو مجال التعاون لما فيه الخير للبشرية ، ومجال تبادل المعارف والخبرات والمنافع والمصالح المشتركة ، بهدف صياغة حياة إنسانية سامية فاضلة راقية ، تحقق للإنسانية المزيد من الاستقرار والازدهار والرقي والتقدم ، ومجال نشر القيم الإنسانية الرفيعة ، التي تحث على التسامح والتراحم ، وتدعوإلى الإيثار وحب الخير والتضحية لمصالح الآخرين ، وتحمل على الابتعاد عن العصبية المقيتة ، وتحث على القواسم المشتركة (Common denominators) ، ونقاط الاتفاق من نشر الخير والحق والعدل والمساواة ، ومكافحة الإباحية والشذوذ الجنسي ، والإلحاد والدهرية ، وتأييد المستضعفين المكروبين في العالم .

وليس مجال التفاهم والتقارب مع الديانات ، هو التقريب بين الكفر والشرك والتوحيد ، والحق والباطل ، ومحوالهوية الدينية للأمة الإسلامية ، وحملها على التبعية الثقافية والفكرية ، وإذابتها في ثقافات الأمم والحضارات ، وحثها على تقليد الأمم الأخرى في عاداتها وآدابها وسلوكها ومعاملاتها ، ومظاهر الحياة التي تتعارض مع الثوابت الدينية ،والقيم الإسلامية والمبادئ الشرعية ، وذلك أنه لا لقاء بين الكفر والشرك ، وبين الإيمان والتوحيد .

الضوابط المنهجية للتفاهم والتقارب مع الديانات :

إن التفاهم والتقارب مع الديانات ، لا بد من أن يتما على أسس متينة ، وفي مجالات إنسانية عامة ، ووفق الضوابط الشرعية ، كي تظهر نتائج وثمرات صالحة في حق الإنسان والإنسانية ، ولذا نقدم فيما يلي أهم الضوابط المنهجية للتفاهم والتقارب مع الديانات :

١- أن لا يؤدي التفاهم والتقارب مع الديانات إلى الهيمنة الثقافية لطرف ما .
٢- أن يخلوالتفاهم من الإحساس بالتفوق العنصري .
٣- أن لا يفضي التفاهم إلى إهدار حقوق الآخرين وهضمها ، والظلم عليهم .
٤- أن لا يتسبب التفاهم في الانتقاص من مكانة الطرف الآخر .
٥- أن لا ينجم عن التفاهم طمع طرف في ثروات طرف آخر .
٦- أن لا ينتج عن التفاهم الاحتلال والاستعمار والتدخل في شؤون الطرف الآخر .
٧- أن يؤدي التفاهم إلى التعاون على تحقيق المصالح المشتركة ، وتقديم الخير إلى البشرية ، وبناء حياة إنسانية مزدهرة .
٨- أن لا يتم التفاهم على حساب التوحيد والحق .
٩- أن لا يتم التفاهم لنشر ما يضاد الأخلاق .
١٠- أن لا يفضي التفاهم إلى الاستغلال ، والنفعية ، والأثرة .

الخاتمة :

في نهاية المطاف يحسن بي أن أقدم أهم النتائج التي توصلت إليها خلال البحث :

١- تحسين العلاقات الإنسانية مطلوب في الإسلام .
٢- الإسلام ليس ديناً انعزالياً .
٣- لا يحمل الإسلام مشاعر العداء والكره للآخرين .
٤- للتفاهم والتقارب مع الديانات أهمية بالغة في الإسلام .
٥- هناك أسس شرعية عديدة تقتضي التفاهم والتقارب مع الديانات ، ومنها : وحدة الأصل الإنساني ، وعموم الرسالة الإسلامية ، وحرية العقيدة ،

وعلاقة المسلمين بغيرهم علاقة السلم والدعوة ، والخلق عيال الله تعالى ، والحوار الوارد في الكتاب والسنة مع أصحاب الديانات الأخرى .

٦- مجالات التفاهم والتقارب مع الديانات هي المجالات الإنسانية العامة ، من مجال التعاون لتحقيق الخير والمنفعة ، والمصالح للبشرية جمعاء .
٧- لا يعني التفاهم والتقارب مع الديانات ، التقريب بين الكفر والشرك وبين التوحيد ، فإنه لا لقاء بين الكفر والشرك ، وبين الإيمان والتوحيد .
٨- من ضوابط التفاهم أن يتم بالعدل والإنصاف ، والمساواة والإرادة المشتركة ، ولإعداد البرامج التي تنفع البشرية كلها ، وتحقق مصالح الإنسانية جمعاء . وأن يكون التفاهم بعيدا عن فرض الهيمنة والسيطرة لطرف على آخر .
٩- أهمية التفاهم في العصر الراهن قد ازدادت بسبب وسائل الاتصال المعاصرة من صحافة وإذاعة وأقمار صناعية وفضائيات وشبكة الإنترنت ، وما إلى ذلك ، التي فشت بين الشعوب والأمم ، ونتجت عن ذلك الثورة المعلوماتية (Explosion of knowledge) التي يعيشها العالم اليوم ، وبسبب سرعة نقل الحدث وانتشاره في أرجاء المعمورة ، مما يجعل التفاهم ضرورة من ضرورات العصر .

التوصيات :

١- التركيز على الأمور المتفق عليها بين الشعوب من الصدق والأمانة ، والاجتناب من الظلم والجور ، والخديعة والغش .
٢- إذكاء روح التعاون على تحقيق مصالح البشرية وخيرها ونفعها ، ودفعها إلى مزيد من التقدم والازدهار .
٣- تنمية روح التسامح الديني ، والانفتاح على الثقافات والحضارات النافعة ، والابتعاد عن العصبية الممقوتة ، وهضم حقوق الآخرين ، والشعور بالتفوق العنصري ، والاستعلاء الحضاري ، واحتلال بلدان الآخرين ، واضطهادهم واستضعافهم .

❖❖❖

دراسات وأبحاث :

شرح قصيدة : "الكواكب الدرية في مدح خير البرية" المعروفة (بالبردة)

(الحلقة الرابعة)

بقلم :الأستاذ الدكتور غريب جمعة *

وراعها وهي في الأعمال سائمة وإن هي استحلت المرعى فلا تُسم (١)

---

(١) قوله "وراعها في الأعمال الخ" لما كان ظاهر كلامه أن هوى النفس يصرف حتى عن الطاعة ، شرح الحال بقوله "وراعها وهي" أي لاحظها والحال أنها في الأعمال الصالحة سائمة كالبهيمة السائمة في الكلأ ، فالوا و للحال ، وأل في الأعمال للعهد ، والمعهود الأعمال الصالحة أعم من تكون واجبة أو مندوبة ، وفي سائمة استعارة تصريحية تبعية ، لأنه شبه أخذ النفس في الأعمال واشتغالها بسوم البهيمة في الكلأ بجامع عدم معرفة الصلاح في كل ، واستعار السوم للأخذ والاشتغال ، واشتق منه سائمة بمعنى آخذة ومشتغلة ، وإنما أمر بملاحظتها وهي مشتغلة بالطاعة لأنه قد يكون لها حظ فيها ، كرياء وحب محمدة وشهرة ، ولذلك قال : "وإن هي استحلت المرعى فلا تسم" بضم التاء وكسر السين ، أي وإن هي وجدت المرعى حلوا فلا تبقها فيه ، لأنها لا تميل إلى الطاعة لذاتها ، بل لغرض فيها فتنقلب الطاعة معصية ، بل قد تكون أعظم مفسدة من المعصية كما يشير لذلك قول صاحب الحكم (١) .

"رب معصية أورثت ذلا وانكساراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً" .

وفي بعض الآثار "أوحى الله إلى داود عليه السلام : يا دواد قل للعاصين المخبتين : أبشروا ، وقل للعابدين المعجبين : اخسئوا" .

ومن المعلوم أن أداة الشرط وهي "إن" هنا من خواص الفعل ، فقوله "وإن هي" أصله وإن استحلت ، حذف الفعل فانفصل الضمير ، وقوله "استحلت" مفسر للفعل المحذوف على حد قوله –

---

(١) هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري رضي الله عنه ، من أعلام علماء القرن السابع ، توفي عام ٧٠٩هـ/١٣٠٩م هذا قاله الشيخ المحقق في ترجمة ابن عطاء الله ، ونحن نزيد عليه إن شاء الله : ولد ونشأ –

---

* جدة – المملكة العربية السعودية .

كم حسّنت لذة للمرء قاتلة من حيث لم تَدْرِ أن السم في الدسم (٢)

– تعالى ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ (سورة التوبة الآية/٦) وفي قوله فلا تسم استعارة بالكناية وتخييل لأنه شبه النفس بالبهيمة بجامع عدم معرفة الصلاح في كل ، تشبيهاً مضمراً في النفس ، وطوى لفظ المشبه به وذكر المرعى ترشيح ، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهي الإسامة .

(٢) قوله "كم حسّنت الخ" هذا البيت استشهاد على البيت الذي قبله ، و"كم" خبرية بمعنى كثيراً ومميزها محذوف ، والتقدير كم مرة ، أي كثيراً من المرات ، وقوله "حسنت لذة للمرء قاتلة" أي عدت لذة قاتلة حسنة للشخص ، رجلا كان أو امرأة ، فلذة مفعول لحسنت ، وقاتلة صفة لها ، وهذا الصنيع أولى من جعل اللذة تمييزاً لـ "كم" وجعل مفعول "لذة" محذوفاً ، وإن جرى عليه بعض الشارحين ، وقد بين وجه كون اللذة قاتلة بقوله "من حيث لم يدر أن السم في الدسم" أي من جهة ، وتلك الجهة هي كونه لم يعلم أن السم (بتثليث أوله مدسوس في الدسم الذي هو الدهن ، وخص السم بالذكر لأنه قاتل ، وخص الدسم بالذكر لأنه يعلو الأشياء ، فيستر ما تحته ، والمراد بالسم هنا حظ النفس ، والمراد بالدسم هنا الطاعة ، ففي كلامه استعارتان مصرحتان ، أما الأولى فلأنه شبه حظ النفس بالسم بجامع الضرر في كل ، واستعار اسم المشبه به للمشبه ، وأما الثانية فلأنه شبه صورة الطاعة بالدسم ، بجامع أن كلا سائر الغيرة ، واستعار اسم المشبه به للمشبه ، والحاصل أن النفس لها حظ في الطاعة ، كما أن لها حظاً في المعصية ، بل حظها في الطاعة أشد لأنه حظها في المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعة باطن خفي .

– بالأسكندرية فنسب إليها وتتلمذ على شيخه أبي العباس المرسي الذي تتلمذ بدوره على شيخه أبي الحسن الشاذلي وبعد أن أتم تحصيله جلس للتدريس بالأزهر وبالمدرسة المنصورية ، كانت له جلالة عجيبة ووقع في النفوس ومشاركة في الفضائل ، سمع به السلطان حسام الدين لاجين فاشتاق لرؤيته والسماع منه فاستدعاه إليه محمد أخذ عنه الشيخ تقي الدين السبكي وتلاميذه كثيرون ، له مؤلفات عديد ، جمعها مريدوه وقد طبع منها : حكم ابن عطاء الله أو الحكم العطائية التي قال له شيخه أبو العباس عنها : لقد أتيت بمقاصد الأحياء وزيادة ، وقد شرحها ابن عجيبة بعنوان : إيقاظ الهمم – وشرحها أيضاً ابن عباد النفري ، ومن مؤلفاته أيضاً : تاج العروس الهادي لتهذيب النفوس – التنوير في إسقاط التدبير – لطائف المنن في مناقب شيخه أبي العباس المرسي ، وشيخ شيخه أبي الحسن الشاذلي – مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح ، وتوفي بالقاهرة في ١٤ من جمادى الآخرة عام ٧٠٩هـ ، الموافق ٢١ نوفمبر ١٣٠٩م .

والمقصود أن المعصية إذا أعقبتها طاعة وندم على ما فعل ذل وانكسر صاحبها فكانت خيراً من طـــاعة –

واخش الدسائس من جوع ومن شبع فرب مخمصة شر من التخم (٣)

(٣) قوله "واخش الدسائس .. الخ" أي ضف المكايد التي تخفيها النفس في الجوع والشبع ، فالدسائس من الجوع كالحدة وسوء الخلق ، والدسائس من الشبع كالكسل عن العبادة : والكلام في الجوع والشبع المفرطين ، لأنه المذموم منهما ليس إلا المفرط ، وأما المعتدل بين الإفراط والتفريط فممدوح كما يشير إلى ذلك قوله تعالى : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا﴾ (سورة الأعراف الآية/٣١) .

هذا على كون الجوع والشبع على ظاهرهما ، ويحتمل أن المصنف كنّى بالجوع عن قلة العبادة وبالشبع عن كثرتها ، لأن قلة العبادة تئول إلى الجوع في الآخرة ، وكثرة العبادة تنزل إلى الشبع في الآخرة ، فالدسائس من الجوع بمعنى قلة العبادة ، كالميل للراحة وترك العبادة بالكلية ، والدسائس من الشبع بمعنى كثرة العبادة كحب الشهرة والمحمدة وهو مفسدة عظيمة ، لأنه حينئذ يكون قاصراً بالعبادة غير وجه الله تعالى ، ولما كان قد يقع في بادي (ظاهر) الرأي أن الجوع لا دسائس فيه ، لأن العرب والحكماء تمدح بقلة الأكل وتذم بكثرته ، وحينئذ فلا وجه للتحذير من مكايد الجوع ، دفع ذلك المصنف بقوله "فرب مخمصة شر من التخم" فكأنه قال : لا تستبعد ذلك ، إذ رب مجاعة مفرطة شر من كثرة الأكل ، باعتبار الآفات المترتبة عليها ، فالعبادة قد لا تحصل بالكلية من الجوع المفرط ، وتحصل من كثرة الأكل ، وإن كان فيها كسل ، ولا شك أن ترك العبادة بالمرة شر من الكسل فيها ، هذا على أن المراد بالجوع والشبع حقيقتهما ، وأما على أن المراد بالجوع قلة العبادة ، وبالشبع كثرتها ، فكأنه قال : لا تستبعد ذلك ، فرب عمل قليل شر من عمل كثير ، فإن النفس قد تزين له قليل العبادة كأن تقول له : لازم القليل من العبادة ودوام عليه ، لأنه الكثير يضر بالبدن ، فيؤدي إلى العجز بالكلية ، وربما يكون فيه الرياء ، وقصدها بذلك الراحة ، وقد تزين له كثير العبادة كأن تقول له : عليك بالكثير من العبادة ، ليكثر ثوابك ، وقصدها بذلك أن تمجد عند الناس ، وتعظم عندهم ، وهذه مفسدة عظيمة ، لكن مع الاستكثار من العبادة قد يسلم كثير منها ، بل قد ينصلح باطنه في آخرة أمره ، وقد كان بعض المشايخ يقول :

عليكم بإصلاح ظواهركم ، فإنه يوشك أن تنصلح بواطنكم .

وحكى أن رجلاً تعبد سنين ليشتهر بذلك ، وتودع عنده الأمانات فينتفع بها ، فلم —

— يرى الناس انها طاعة ، وانما اراد صاحبها تكبراً على عباد الله بإظهار الطاعة فكانت المعصية التي تورث الطاعة على هذه الصفة خيراً من هذه الطاعة التي ظاهرها رحمة وباطنها عذاب .

واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت من المحارم والزم حمية الندم (٤)

وخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فاتهم (٥)

ولا تطع منهما خصماً ولا حكماً فأنت تعرف كيد الخصم والحكم (٦)

— يودع عنده شيء ، فلما طال عليه الأمر وبخ نفسه وتاب إلى الله تعالى فلما أصبح أتي بأمانة فقال لصاحبها : "ما كان بيننا وبينها إلا ظلام الليل ، اذهب بسلام" .

و "رب" هنا للتقليل ، والمخمصة : المجاعة ، والتخم : بضم التاء وفتح الخاء جمع تخمة وهي فساد المعدة بالطعام ، وقيل : فساد الطعام في المعدة ، وفسرت أيضاً بأنها ضد المخمصة ، وهذا قد يقتضيه كلام المصنف ، وتعقب بأن ضد المخمصة الشبع وإن لم يحصل تخمة .

(٤) قوله "واستفرغ الدمع .. الخ" أي أفرغ الدمع بالبكاء ، أو اطلب فراغه بذلك ، فالسين والتاء إما زائدتان وهو الأظهر ، أو للطلب ، وقوله "من عين قد امتلأت من المحارم" من الأولى ابتدائية والثانية تبعيضية ، وامتلاء العين من المحارم كناية عند الفقهاء عن كثرة التظهر بها لما لا يجوز شرعاً ، وعند الصوفية وأهل الحب : رؤية الأغيار بها ، ولذلك يقال للعارف : "أدب عينيك بدمع الندامة إذا نظرت لغير ذلك الجمال ، واقصر نظرك على كمال الكبير المتعال" ، ولم يزل السلف الصالح يبكون على ما حصل منهم البكاء ، والبكاء على الخيبة معظم العزم حتى قال بعضهم : "لولم يبك الإنسان إلا على ما ضاع من عمره النفيس من غير طاعة لكفاه" .

وقال سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم : "طوبى لمن بكى على خطيئته" ، وكان عليه الصلاة والسلام كثير البكاء ، وقيل في قوله تعالى : ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ (سورة الرحمن الآية/٥٠) وإنهما لمن له في الدنيا عينان تجريان .

وقوله "والزم حمية الندم" أي والزم حماية النوم لك عن المحارم ، ويحتمل والزم الندم الحامي لك عن عقاب المحارم ، والمراد من الندم التوبة المستكملة للشروط الشرعية ، وإنما عبر بالندم لأنه عمدة التوبة ، ولذلك ورد "الندم توبة" (٢) .

(٥) قوله "وخالف النفس والشيطان .. الخ" أي إذا أمرتك نفسك والشيطان بشيء ، أو نهتك نفسك والشيطان عن شيء ، فخالفهما لأنهما عدواك ، وقوله "واعصهما" أشار به إلى أنه لا يكفي مجرد مخالفتهما ، لأنه قد يخالفهما إلى ما يرضيان به ، بل لا بد من عصيانهما ، وإن خصت المخالفة بالمكروه ، والعصيان بالمحرم كان من عطف المغاير ، وإن أبقيت المخالفة على عمومها ، وخص العصيان بالمحرم كان من عطف الخاص على العام للاهتمام بذلك الخاص ، وإنما قدم —

(٢) قال رسول الله ﷺ : "الندم توبة ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له" . (رواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية)

– المصنف النفس على الشيطان لأنها أضر منه ، وفتنتها أعظم من فتنته ، إذ هي عدو في صورة صديق ، والإنسان لا يتنبه لمكايد الصديق ، وأيضاً هي عدو من داخل بخلاف الشيطان فإنه عدو ظاهر ، وقد قيل : الخروج عن النفس هو النعمة العظمى لأنها أعظم حجاب بين الشخص وبين الله تعالى ، وقد سئل بعض الأشياخ عن الإسلام فقال : "ذبح النفوس بسيف المخالفة" وقال سهل بن عبد الله : ما عبد الله بشيء مثل مخالفة النفس والهوى" .

وبالجملة فمخالفة النفس رأس العبادة ، وأول مراتب السعادة ، وانظر فعل الشيطان مع أبيك ، وقد أقسم : إنه له لمن الناصحين ، فكيف بك وقد أقسم ليغوينك ا . وقوله : "وإن هما محضاك النصح فاتهم" أي وإن هما أخلصا لك النصح فيما أبدياه لك ، كأن يقولا لك : تمتع بهذه الشهوة لكي تتوجه إلى الطاعة عن فارغ القلب ، أو يقولا لك ارفق بنفسك في العبادة لكي تدوم عليها ، أو أكثر العبادة لتفوز بالدرجات العلى ، أو نحو ذلك فاتههما بأن تنسبهما إلى الخيانة لأن مراد هما بذلك الخديعة والمكر ، وقد تقدم أن أداة الشرط وهي هنا "إن" خواص الفعل . فقوله "وإن هما" أصله وإن محضا حذف الفعل فانفصل الضمير ، والفعل المذكور تفسير للمحذوف على حد قوله تعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ (سورة التوبة الآية/٦) .

وعبر المصنف بإن التي للشك ، إشارة إلى أن إخلاص النصح أمر مشكوك فيه ، بل لا يفرض إلا كما يفرض المحال ، إذ لا يصدر منهما الغش ، ولذا قيل : "إن الشيطان يفتح للإنسان تسعة وتسعين باباً من الخير ليوقعه في باب من الشر" .

(٦) قوله "ولا تطع منهما" هذا البيت تأكيد للبيت قبله ، ومعناه أنه إذا تخاصم العقل مع النفس وجعلا الشيطان حكماً ، أو تخاصم العقل مع الشيطان وجعلا النفس حكماً ، فلا تطع واحداً من النفس والشيطان لا الخصم ولا الحكم ، لأن كلا منهما يدعو إلى الشر ، وأما العقل فيدعو إلى الخير ، فإذا تخاصم العقل مع أحدهما ، كان الحكم مع خصم العقل لأنه من ناحيته ، فلا يحكم إلا بما هو على مراده .

وقيل : صورة كون أحدهما خصماً والآخر حكماً ، أن أحدهما يزين لك الإقدام على المعصية ، وأنت تمتنع من ذلك لما تعلم من سوء العاقبة ، فقد صار خصماً لك ثم بعد الإقدام على المعصية ، ويزين أحدهما لك البقاء عليها ، وأنت تريد الخروج منها فيضرب لك أجلاً بعد أجل ، كما يفعله الحكام فقد صار حكماً في ذلك ، وبما تقرر : علم أن الخصم قد يكون النفس والحكم الشيطان وبالعكس ، و"من" في قوله منهما للتبعيض ، والضمير فيه عائد للنفس والشيطان ، ولا في قوله "ولا حكما" زائدة لتأكيد النهي ، وقوله "فأنت تعرف كيد الخصم والحكم" أي لأنك تعرف كيد الخصم والحكم من الناس ، وكيد النفس والشيطان أشد .

(البحث موصول بإذن الله)

البديعيات في العصرين المملوكي والعثماني

بقلم : الأستاذ محمد ثاقب الندوي *

المدائح النبوية فن من فنون الشعر ، ولون من ألوان التعبير عن العواطف الدينية ، وباب من أبواب الأدب الرفيع ، لأنها صدرت عن قلوب مفعمة بالحب الصادق والإخلاص المكين ، فانتقل هذا الفن إلى فن جديد باسم البديعيات في العصر المملوكي والعثماني .

فالبديعية طبعاً في اللغة : بدع – بدعاً : أنشأه ، وبدأه (البديع من الأسماء الحسنى كما يقال "الله بديع السموات والأرض ، أي موجدها" (١) .

تعريفها في الاصطلاح : فقد عرفها الدكتور منير سلطان في كتابه "البديع تأصيل وتجديد" (٢) البديعية : قصيدة تحتوي على كل الفنون التي أدرجت تحت علم البديع ، وهي في الوقت ذاته في المديح ، وبخاصة مدح الرسول ﷺ ، كما عرفها أيضاً الدكتور زكي مبارك في كتابه "المدائح النبوية في الأدب العربي" (٣) البديعيات : أن تكون القصيدة في مدح رسول الله ﷺ ولكن كل بيت من أبياتها إلى فن من فنون البديع .

ويعرفها الدكتور سعد سليمان حمود في كتاب "البلاغة العربية" : (٤) إن البديعيات نمط عن قصائد المدح وخاصة مديح رسول الله ﷺ ، ضمن ناظموها كل بيت منها لونا أو محسناً من محسنات البديع ، أما عن تعريفها عند أهم دارسيها وهو علي أبو زيد في كتابه "البديعيات في الأدب العربي ، نشأتها ، تطورها ، أثرها" (٥) فقد عرفها تعريفين اثنين أولهما عام والآخر خاص ، أما

* الباحث في القسم العربي جامعة علي كراه الإسلامية ، علي كراه .

(١) المنجد ، رقم الصفحة : ٢٩ ، الطبعة السابعة عشرة بيروت ، سنة ١٩٦٠م .

(٢) نشرته المعارف الإسكندرية بمصر سنة ١٩٨٦م ، رقم الصفحة : ٢٢ .

(٣) نشرته صيدا بيروت سنة ١٩٣٥م ، رقم الصفحة : ٢٠٥ .

(٤) نشرته دار المعارف بمصر سنة ١٩٩٧م ، رقم الصفحة : ٣٣٢٩ .

(٥) نشرته عالم الكتب سنة ١٩٨٣م ، رقم الصحفة : ٤٦ .

العام فيشمل جميع البديعيات ، والخاص دقيق يضم التعريف الصحيح للبديعية .

الأول : التعريف العام : قصيدة طويلة في مدح نبي يتضمن كل بيت من أبياتها نوعاً من أنواع البديع ، يكون هذا البيت شاهداً عليه ، وربما رويّ باسم النوع البديعي في البيت نفسه في بعض القصائد .

الثاني : التعريف الخاص : البديعية قصيدة طويلة في مدح النبي ﷺ على بحر البسيط ، رويّ الميم المكسورة ، يتضمن كل بيت من أبياتها نوعاً من أنواع البديع ، يكون هذا البيت شاهداً عليه ، وربما روي باسم النوع البديعي في البيت نفسه في بعض القصائد .

أما قوامها فهي أن تكون قصيدة طويلة من البحر البسيط يشتمل كل بيت منها على نوع بديعي ، كل هذا مضاف إلى المديح النبوي ، وأسباب نشأتها "الرغبة في التأليف البلاغي (البديعي) والرغبة في مدح النبي ﷺ واجتماعها مع رغبة التأليف ، واجتماع الشاعرية والتأليف عند الناظم ، والمرض ورقة عواطف المريض ، والسعي إلى الشهرة ، والرغبة في المعارضة ، وحب الظهور والتكثر ، وأثر المجتمع" (٦) .

بعد هذا العرض للتعريفات يتضح لنا أن البديعية : هي قصيدة طويلة تكون في مدح الرسول ﷺ ، تنظم على أوزان البحر البسيط وعلى رويّ الميم ، وهذا على اعتبار أنها تعارض بردة البوصيري (٧) (٦٩٦ – ٦٠٨هـ) ، يشمل كل بيت منها لوناً بديعياً يكون شاهداً عليه قد يذكر اسم هذا اللون أو لا يذكر .

أما البوصيري وله قصيدة البردة أصلاً البديعية عنوانها

(٦)علي أبو زيد /البديعيات ، نشأتها ، تطورها ، أثرها في الأدب العربي ، عالم الكتب بيروت سنة ١٩٨٣م .

(٧) محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري ، شرف الدين ، أبو عبد الله : شاعر ، حسن الديباجة ، مليح المعاني ، نسبته إلى بوصير (من أعمال بني سويف ، بمصر) أمه منها ، وأصله من المغرب من قلعة حماد من قبيل يعرفون ببني حبنون ، ومولده في بهشيم من أعمال البهنساوية ، ووفاته بالإسكندرية : له ديوان شعر ، وأشهر شعره البردة ، وعارض "بانت سعاد" بقصيدة ، مطلعها :

"إلى متى أنت باللذات مشغول" ، الأعلام للزركلي ج/٦ ، رقم الصفحة : ١٣٩/دار العلم للملايين) ، بيروت ، طبعة تاسعة سنة ١٩٩٠م .

"الكواكب الدرية في مدح خير البرية" ولكنها شهيرة بقصيدة البردة ، لعله استأنس بميمية ابن الفارض (٨) (٦٣٢ – ٥٧٦هـ) عند نظمها ، ودليل ذلك تشابه المطلعين ، فمطلع قصيدة ابن الفارض :

هل نار ليلى بدت ليلاً بذي سلم أم بارق لاح في الزوراء فالعلمُ
أرواح نعمان هلا نعمة سحرا وما وجرة هلا نهلة بفم (٩)

ومطلع قصيدة البردة للبوصيري :

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة وأومض البرق في الظلماء من اضم (١٠)

فذو سلم ، وهبوب الريح ، وإيماض البرق مما اشترك فيه الشاعران مع وحدة الوزن والقافية ، وليس الاشتراك في المطلع فقط ، بل أبيات عديدة يشتركان فيها لفظاً ومعناً .

وبعد قصيدة البردة كثير من الشعراء المملوكي والعثماني افتتنوا بقصيدة البردة ، فجاء ضياء الدين علي بن محمد يوسف الخزرجي الغرنطي (١١) [٦٨٦هـ] مطلع بديعيته ما قال بشأن النبي ﷺ :

هي المنازل فانزل يمنة العلم ودع سؤالك عن سلمى وذي سلم

(٨) عمر بن علي بن مرشد علي الحموي الأصل ، المصري المولد والدار والوفاة ، أبو حفص وأبو القاسم شرف الدين ابن الفارض : أشعر المتصوفين ، يلقب بسلطان العاشقين ، في شعره فلسفة تتصل بما يسمى "وحدة الوجود" كان جميلاً نبيلاً ، حسن الهيئة والملبس ، حسن الصحبة والعشرة ، رقيق الطبع ، فصيح العبارة ، سلس القيادة سخيا جواداً ، وقال الذهبي : كان سيد شعراء عصره وشيخ "الاتحادية" له ديوان شعر ، جمعه سبطه علي ، وشرحه كثيرون منهم حسن البوريني وعبد الغنى النابلسي وشرحاهما مطبوعان ، الاعلام للزركلي ج/٥ ، رقم الصحفة : ٥٥ ، ٥٦/دار العلم للملايين ، بيروت طبعة تاسعة سنة ١٩٩٠م .

(٩) ديوان ابن الفارض ، عبد المجيد شكرى التاج الفاروقي ، رقم الصفحة : ١٢٣/لندن سنة ١٩٦١م .

(١٠) قصيدة البردة للبوصيري رقم الصفحة : ٣٤/مكتبة الأندلس ، بغداد سنة ١٩٦٦م .

(١١) الشاعر الصوفي ، أقام بالإسكندرية ، وكان مشهوراً بالزهد ، وله مدائح في النبي ﷺ ، وأضر في آخر عمره ، وقارب المئة وتوفيّ سنة ٦٨٦ للهجرة .

ويقول في مدح النبي ﷺ :

سر يا محمد لا تعدل ولا تلم ... وليلة القرب روح القدس قال له
ولست منفصلاً عن بارئ النّسم ... هذا مقامي فإني عنك منفصل
حقاً وأفضل من يمشى على قدم (١٢) ... فأنت أكرم خلق الله كلهم

ومنهم ابن جابر الأندلسي (١٣) (٦٩٨ – ٧٨٠هـ) شغل نفسه بمعارضة البردة وظهر أثرها في مطلع بديعيته :

بطيبة انزل ويمم سيد الأمم ... وانشر له المدح وانثر أطيب الكلم

ويقول أيضاً :

في ذاته فبدت ناراً على علم ... أما معاني المعاني قد جمعت
والزهر في نعم والدهر في نقم (١٤) ... كالبدر في شيم والبحر في ديم

وفي عصر ابن جابر وضع صفي الدين الحلّي (١٥) (٦٧٧ – ٧٥٠هـ)

---

(١٢) ناظم رشيد ، المدائح النبوية في أدب القرنين السادس والسابع للهجرة/دار آفاق عربية ، بغداد ، طبعة أولى سنة ١٤٢٣هـ ، رقم الصفحات : ١٣٥ .

(١٣) محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي الهوّاري المالكي ، أبو عبد الله ، شمس الدين ، شاعر ، عالم العربية ، أعمى ، من أهل المرية ، صحبه إلى الديار المصرية أحمد بن يوسف الغرناطي الرعيني ، فكان ابن جابر يؤلف وينظم ، والرعيني يكتب ، واشتهر ، بالأعمى والبصير ، ثم دخلا الشام ، فأقاما بدمشق قليلاً ، وتحولا إلى حلب سنة ٧٤٦هـ وسكنا "البيرة" قرب سميساط ، ثم تزوج ابن جابر ، فافترقا ، ومات الرعيني فرثاه ابن جابر ، ومات بعده بنحو سنة في "البيرة" من كتب ابن جابر "شرح ألفية بن مالك" "والعين في مدح سيد الكونين" ، الأعلام للزركلي ج/٥ ، رقم الصفحة : ٢٣٨/دار العلم للملايين ، طبعة تاسعة سنة ١٩٩٠م .

(١٤) المديح النبوي للأستاذ يسين أختر المصباحي الأعظمي ، نشرته الجامعة الأشرفية مباركفور سنة ١٣٩٩هـ .

(١٥) عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم السنبسي الطائي : شاعر عصره ، ولد ونشأ في الحلى (بين الكوفة والبغداد) واشتغل بالتجارة ، فكان يرحل إلى الشام ومصر وماردين وغيرها ، في تجارته ، ويعود إلى العراق ، واتفطع مدة إلى أصحاب ماردين ، فتقرب من ملوك الدولة الأرتقية ، ومدحهم ، وأجزلوا له عطاياهم ، ورحل إلى القاهرة سنة ٧٢٦هـ ، فمدح السطان الملك الناصر ، وتوفى ببغداد ، له ديوان شعر وتصانيف شتى ، الأعلام للزركلي ج/٤ ، رقم الصفحة : ١٨/دار العلم للملايين ، بيروت ، طبعة تاسعة سنة ١٩٩٠م .

بديعيته المسماة "الكافية البديعية في المدائح النبوية" مطلعها :

إن جئت سلعاً فسل عن جيرة العلم ... واقرء السلام على عرب بذي سلم

ويقول في مدح النبي ﷺ :

محمد المصطفى الهادي النبي أجـ ... ـل المرسلين ابن عبد الله ذي الكرم
خير النبيين والبرهان متّضح ... في الحجر عقلاً ونقلاً واضح اللقم
هو النبي الذي آياته ظهرت ... من قبل مظهره للناس في القدم
محمد المصطفى المختار من ختمت ... بمجده مرسلو الرحمن للأمم (١٦)

ثم جاء عز الدين الموصلى (١٧) [٧٨٩هـ] ونظم بديعيته وأسماها "التوصل بالبديع إلى التوسل بالشفيع" مطلعها :

براعة تستهل الدمع في العلم ... عبارة عن نداء المفرد العلم (١٨)

وأعقبه ابن حجة الحموي (١٩) (٧٦٧ – ٨٣٨هـ) ونظم بديعيته ، وشرحها في كتابه المسمى "خزانة الأدب وغاية الأرب" (٢٠) وجاء في مطلعها :

---

(١٦) ديوان صفي الدين الحلى ، بيروت سنة ١٩٦٢م .

(١٧) علي بن الحسين بن علي : شاعر ، أديب ، من أهل الموصل ، أقام مدة في حلب ، وسكن دمشق وتوفي بها ، له "ديوان شعر" جمعه في مجلد ، و "بديعية" شرحها في كتاب سماه "التوصل بالبديع إلى التوسل بالشفيع" الأعلام للزركلي ج/٤ ، رقم الصفحة : ٢٨/دار العلم للملايين ، بيروت ، طبعة تاسعة سنة ١٩٩٠م .

(١٨) الدكتور بكري شيخ أمين ، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني/دار الآفاق الجديدة بيروت سنة ١٣٩٩هـ .

(١٩) أبو بكر بن علي عبد الله الحموي الأزراري ، تقي الدين ابن حجة : أمام أهل الأدب في عصره ، وكان شاعراً جيداً الإنشاء ، من أهل حماة (بسورية) ولد ونشأة ومات فيها ، زار القاهرة ، والتقى بعلمائها ، واتصل بملوكها ، وكان طويل النفس في النظم والنثر ، حسن الأخلاق والمروءة ، فيه شيئ من الزهو والإعجاب ، اتخذ عمل الحرير وعقد الأزرار صناعة له ، في صباه ، فنسب إليها ، مصنفاته كثيرة ، منها "خزانة الأدب وغاية الأرب" في شرح بديعية له ، و"ثمرات الأوراق" و "قهوة الإنشاء" "بلوغ المرام من سيرة ابن هشام" الأعلام للزركلي ج/٢ ، رقم الصفحة : ٦٧/دار العلم للملايين ، بيروت طبعة تاسعة سنة ١٩٩٠م .

(٢٠) صدرت سنة ١٢٧٣هـ من القاهرة .

لي في ابتدا مدحكم يا عرب ذي سلم براعة تستهل الدمع في العلم

ثم يبدأ بذكر الرسول (ﷺ) في البيت السابع والأربعين :

محمد بن الذبيحين الأمين أبول بتول خير نبي في الطرادهم

أبدى البديع له الوصف البديع وفي نظم البديع حلا ترديده بفم (٢١)

ثم جاء السيوطي (٢٢) (٨٤٩ – ٩١١هـ) فعارض ابن حجة ونظم بديعيته أسماها "نظم البديع في مدح خير شفيع" مطلعها :

من العقيق ومن تذكاري ذي سلم براعة العين في استهلالها بدم (٢٣)

وجاء نور الدين علي السمهودي (٢٤) (٨٤٤ – ٩١١هـ) وأنشد في البديعية أيضاً :

يا أهل طيبة لا زالت شمائلكم كالروض باكره سار من الديم

أنفاسكم والنفوس الغر ما برحت كالزهر والزهر في لطف وفي كرم

عليه صلى إله العرش ما سجعت ورق الحمائم بين الضال والسلم (٢٥)

ثم جاءت عائشة الباعونية (٢٦) [٩٢٢هـ] كانت عالمة فاضلة وأديبة

---

(٢١) بديعية الشيخ تقي الدين بن حجة الحموي ، البديعيات الخمس في مدح النبي المختار والصحابة الكرام ، طبعت بمطبعة المعارف بمصر سنة ١٨٩٧م .

(٢٢) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي ، جلال الدين : إمام حافظ ، مؤرخ ، أديب ، له نحو ٦٠٠ مصنف ، الأعلام للزركلي ج/٣ ، رقم الصفحة : ٣٠١/دار العلم للملايين ، بيروت ، طبعة تاسعة سنة ١٩٩٠م .

(٢٣) الدكتور بكري شيخ أمين ، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني/دار الآفاق الجديدة بيروت سنة ١٣٩٩هـ .

(٢٤) علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي ، نور الدين أبو الحسن : مؤرخ المدينة المنورة ومفتيها ، ولد في سمهود (بصعيد مصر) ونشأ في القاهرة ، واستوطن المدينة سنة ٨٧٣هـ وتوفي بها ، من كتبه "وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى" ، الأعلام للزركلي ج/٤ ، رقم الصفحة : ٣٠٧/دار العلم للملايين ، بيروت ، طبعة تاسعة سنة ١٩٩٠م .

(٢٥) المديح النبوي ، محمد يسين أختر المصباحي ، رقم الصفحة : ١١٨ ، مباركفور/جامعة أشرفية .

(٢٦) عائشة بنت يوسف بن أحمد بن ناصر الباعوني ، أم عبد الوهاب : شاعرة ، أديبة ، فقيهة ، نسبتها إلى باعون (من قرى عجلون في شرق الأردن) ومولدها و وفاتها في دمشق ، تلقت اللغة –

بارعة وشاعرة مجيدة ، وكان أكثر شعرها بديعيات تتكئي فيها علي ابن الفارض من حيث المعنى وعلى البوصيري من حيث اللفظ والمعنى معاً ، لها بديعية معروفة بـ "الفتح المبين في مدح الأمين" مطلعها :

في حسن مطلع أقمار بذي سلم أصبحت في زمرة العشاق كالعلم

ومنها في مدح الرسول ﷺ :

كم أعقبت راحة باللمس راحته وكم محا محنة ريق له بفم

وذكره كاد لولا سنة سبقت إذا تكرر يحيى بالي الرمم

قالوا : هو الغيث ! قلت : الغيث آونة يهمي ، وغيث نداه لا يزال همي

جردت حجّى له من كل مفسدة ولم تزل بال بالصفا تسعى له قدمى

طه الذي إن أخف ذنبي ولذت به أمنت خوفي ونجاني من النقم (٢٧)

وفي القرن الحادي عشر للهجري جاء ابن معتوق (٢٨) (١٠٢٥ – ١٠٨٧) سلك مسلك البوصيري في بديعيته لفظاً ومعنى ، فكراً وخيالاً .

فعلى سبيل المثال أذكر بعض الأبيات لابن معتوق والبوصيري يتفقان فيها لفظاً ومعنى ، فكراً وخيالاً .

فيقول ابن معتوق في بديعيته في المديح النبوي ﷺ :

طوق الرسالة تاج الرسل خاتمهم بل زينة لعباد الله كلهم

على السموات فيه الأرض قد فخرت والعرب قد شرفت فيه على العجم (٢٩)

ويقول البوصيري :

– والأدب ، ورحلت إلى مصر سنة ٩١٩هـ ، فمدحت المقر الأشرفي بقصيدة ، وعادت وزارت حلب في السنة التي توفيت بآخرها عام ٩٢٢هـ ، لها بديعية شرحتها شرحاً حسناً ، الأعلام للزركلي ج/٣ ، رقم الصفحة : ٢٤١/دار العلم للملايين ، بيروت ، طبعة تاسعة سنة ١٩٩٠م .

(٢٧) بديعية عائشة بنت يوسف بن أحمد بن ناصر الباعوني الدمشقي ، البديعيات الخمس في مدح النبي المختار والصحابة الكرام ، طبعت بمطبعة المعارف بمصر سنة ١٨٩٧م .

(٢٨) شهاب الدين بن معتوق الموسى الحويزي : شاعر بليغ ، من أهل البصرة ، فلج في أواخر حياته ، وكان له ابن اسمه "معتوق" جمع أكثر شعره ، في ديوان "شهاب الدين" ، الأعلام للزركلي ج/٣ ، رقم الصفحة : ١٧٨/دار العلم للملايين ، بيروت ، طبعة تاسعة سنة ١٩٩٠م .

(٢٩) ديوان ابن المعتوق ، رقم الصفحة : ١٢ و ١٣/بيروت سنة ١٨٨٥م .

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم
محمد سيد الكونين والثقلين والفريقين من عر ومن عجم (٣٠)

فألفاظ عباد الله كلهم ، خلق الله كلهم ، عرب وعجم ، مما اشترك فيه الشاعران مع وحدة الوزن والقافية ، وأيضاً في التوسلات يشتركان :

يقول ابن معتوق :

يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي فقد تحملت عبئاً فيه ، لم أقم
أستغفر الله مما قد جنيت على نفسي ويا خجلي منه ويا ندمى
إن لم تكن لي شفيعاً في المعاد فمن يجيرني من عذاب الله والنقم
مولاي دعوة محتاج لنصرتكم يشكو إليكم أذى الأيام والأزم (٣١)

وهذا المعنى قد وجد في بردة البوصيري في التوسل برسول الله ﷺ والاستغاثة به فيقول :

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم
ولن يضيق رسول الله جاهك بي إذا الكريم تحلى باسم منتقم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم (٣٢)

وفي ذلك الوقت تدرج هذه التوسلات على ألسن الناس ، فينشدونها في كل حين ، ولا سيما في الأذكار والخلوات وساعات التضرع والابتهال والمناجاة .

أما الحكم الشرعي لهذه التوسلات والاستغاثات ، ففيها الاختلاف فيما بين السلفيين وجمهور المسلمين ، فلكل من الفريقين حجج وبراهين فليس هناك البحث عنها :

وهكذا كان أثر البردة على الشعر والشعراء ، فقد جاءت القصائد من التضمين والتشطير والتخميس والتسبيع والتعشير في هذا العصر ، ولكن ليس البحث هنا عن ذلك أيضا .

انطلاقاً من تعريفات البديعية وعناصرها ، ونماذج شعرها ، عرفنا أنها لعبت دوراً هاماً في مجال تطوير اللغة والأدب والبلاغة ، وهذا العصر المملوكي والعثماني عصر الميمية في القصائد والبديعيات قيلت في المدائح النبوية .

(٣٠) قصيدة البردة للبوصيري ، رقم الصفحة : ٥٨ و ٧٠/مكتبة الأندلس ، بغداد سنة ١٩٦٦م .
(٣١) ديوان ابن المعتوق ، رقم الصفحة : ١٦/بيروت سنة ١٨٨٥م .
(٣٢) قصيدة البردة للبوصيري ، رقم الصفحة : ١٥٢/مكتبة الأندلس ، بغداد سنة ١٩٦٦م .

"الأيام" دراسة من حيث نموذجيته
لفن السيرة الذاتية والرواية العربية

بقلم : الدكتور عبد القدوس ✧

إن كتاب "الأيام" كتاب معروف ومهم ألفه الكاتب المصري الشهير الدكتور طه حسين (١٨٨٩ – ١٩٧٣) ، يشتمل على ثلاثة أجزاء ، وإنه يعتبر من أهم كتبه بصفة خاصة في فن السيرة الذاتية والرواية العربية الحديثة من حيث الفن والأسلوب ، قرأت هذا الكتاب عدة مرات ووجدت في كل مرة لذة أدبية جديدة ، وانكشفت لي جوانب جديدة ما وصلت إليها من قبل ، لذلك حاولت من خلال هذه الدراسة البسيطة إبراز بعض هذه الجوانب التي لاحظتها من خلال دراسته وبيان تلك العوامل التي دفعت صاحب هذا الكتاب إلى تأليفه ، وتحليل المواقف التي اتخذها فيه المؤلف للتعبير عن سخطه و غضبه تجاه المجتمع الذي عاش فيه مع الإشارة إلى مكانته الأدبية في فن الرواية ، فمن اللازم من فهم خلفية تأليف هذا الكتاب ومن فهم البيئة التي تم تأليفه فيها فهما صحيحاً قبل الخوض في الحديث عن مزاياه الأدبية .

في حين كان الرواد يحاولون وضع اللبنات الأولى في ميدان الرواية الفنية ، ويسعون من خلال كتاباتهم إلى إبراز الشخصية المصرية ، كانت جماعة أخرى من الكتاب يتطلعون إلى تطوير الترجمة الذاتية ، ويحاولون من خلال المساهمة في ميدان الرواية وتحرير الفرد الذاتي وإبراز وجوده واستقلاله الذاتي ، ومن أشهر أفراد هذه الجماعة من ساهموا في ميدان السيرة الذاتية في أوائل القرن العشرين محمد حسين هيكل ، طه حسين ، عباس محمود العقاد ، إبراهيم عبد القادر المازني وتوفيق الحكيم .

والجدير بالذكر أن هذه الجماعة كانت تنتمي إلى الطبقة الوسطى المصرية ، من حيث الأصل ، وأنها لم تتمتع بالامتيازات التي

✧ الأستاذ المشارك في قسم الدراسات الإسلامية ، جامعة مولانا آزاد القومية الأردية حيدر اباد (الهند) .

كانت تتمتع بها الطبقة الأرستقراطية ، ولم يتوافر لديهم المال والفراغ ، بل كان عليهم أن يشقوا طريقهم في الحياة ، وأن يعتمدوا على سواعدهم وكفاحهم الفردي وأن ينتزعوا لقمة العيش من أنياب الحياة ، ويصلوا إلى المجد والشهرة والمكانة الممتازة برغم كل العراقيل والمصاعب التي تواجههم ، وأن يغيروا القيم والأفكار السائدة في المجتمع التي لا تلائم طبيعة العصر ، ولا تساير مع مقتضياته ، لأن تحطيم تلك القيم والأفكار سيتيح لهم الفرصة لتكوين مجتمع جديد ، ويساعدهم في تحقيق وجودهم وآمالهم .

وإن أفراد هذه الجماعة عاشوا طفولتهم في الريف المصري وعند ما بدأت موهبتهم الأدبية تتفتح ؛ لم تكن الرواية أو القصة القصيرة فناً أدبياً معترفاً به من كبار المثقفين ، بل كان الشعر العربي هو الفن الأدبي المسيطر ، ولذلك اتجهت جهودهم إلى هذا الميدان ، واشتغلوا بتقديمها إلى القراء ، فإنهم تأثروا بالواقع المتخلف لمجتمعهم كما أن الثقافة الغربية أثرت عليهم تأثيراً كبيراً .

وإن هذه الجماعة عاشت في القرية وفي أحضان التخلف الاجتماعي والبؤس والفقر ، وكان طه حسين ضحية مباشرة لهذا التخلف لأنه فقد بصره بسبب هذا التخلف ، وهذه النشأة الأولى بالتربية والثقافة في مثل هذه البيئة أثرت في حياتهم المستقبلية ، فبقدر ما عانوا في طفولتهم وصباهم وشبابهم من آثار تخلف مجتمعهم اشتدت رغبتهم في التخلص منه وتغييره ، وهذا ما دفعهم إلى الشعور بالتناقض بين الثقافة الأوربية المتقدمة وبين حياتهم التقليدية ، هذا الشعور بالتناقض يتجلى في الأيام من بدايته إلى نهايته .

وبسبب تأثرهم بالثقافة الغربية وبإقبالهم عليها واتخاذهم منها مثلاً أعلى تركز تفكيرهم على تصور لمجتمع مثالي لا يستمدون قيمه من الواقع الذي كانوا يعيشون فيه بل يستمدونها من الحضارة الغربية التي أصبح مجتمعهم بالقياس إليها مجتمعاً مرفوضاً ، فقياساً على المرأة الغربية مثلاً كانت المرأة الشرقية مرفوضة منحطة معقومة للفكر والفن ، وقياساً على الأدب والفن كان الأدب والفكر والفن العربي مرفوضاً ومنحطاً .

وهذا الاتجاه الفكري الغربي ، والشعور باستقلال الشخصية والإحساس بالذاتية والنفور من الأوضاع العامة والرغبة في الانطواء على الذات مما أدى إلى ظهور فن الترجمة الذاتية واليوميات والاعترافات ، وإن

التجربة الذاتية التي يرتكز محورها الرئيسي على تجربة عاناها المؤلف حيث كان بطلها ، ومدار أهم أحداثها ، وحيث كانت تلك الأحداث تمثل جزءاً من حياة البطل أو صفحة من حياته ، كل ذلك بشرط أن يعبر المؤلف عن تلك التجربة الشخصية في قالب روائي تتوفر فيه أهم عناصر الرواية ، وذلك يبعد العمل عن أن يكون ترجمة ذاتية أو اعترافات أو يوميات ، أو ما شاكل ذلك من كتابات تدور حول الكاتب وحياته .

والفرق بين التجربة الشخصية التي تقوم أساساً على تجربة المؤلف ، وبين الترجمة الذاتية والاعترافات أو يوميات هو اختيار الأحداث اختياراً فنياً صالحاً للتأليف الروائي ، وعدم جمع تلك الأحداث كأنها تاريخ يدون ، بل عرضها كعناصر روائية تنمو وتتطور لكي تصل إلى نهاية معينة ، وذلك بتدخل المؤلف في ترتيبها ترتيباً يحقق الفنية القصصية وعدم الاكتفاء بإيرادها حسب وقوعها الزمني .

ومن أهم ما يحقق التجربة الشخصية بعد ذلك ، عملية الإضافة والخلق التي تفرض مزج الواقع بشيئ من الخيال ، وربط الأحداث الرئيسية الواقعة بأحداث جانبية مخترعة وتجلية الشخصيات المحورية الكائنة بشخصات ثانوية مولدة ، كل هذا بالإضافة إلى اختراع أسماء جديدة لبعض الشخصيات أو ذكر صفات تشعر المغايرة بينهم من جانب وبين المؤلف ومن شاركوه في أحداث تجربته من جانب آخر ، ويمثل هذا النوع من الروايات الفنية التي تدور حول التجربة الذاتية هي "إبراهيم الكاتب" للمازني ، و"سارة" للعقاد ، و "عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم ، و "نداء المجهول" لمحمود تيمور .

لو نقرأ هذا الكتاب في ضوء ما قدمنا من خلفيته ربما تتكشف لنا بعض الجوانب المهمة التي لم نصل إليها من قبل ، فلذلك أريد قبل الخوض في الحديث عن مزاياه الأدبية أن أقدم إليكم ملخص ما في أجزائه الثلاثة من حيث المحتويات الموضوعية .

ففي الجزء الأول من هذا الكتاب يصور الكاتب الأولى من حياته منذ الطفولة والنشأة في القرية إلى الصبا والقدوم إلى القاهرة لإتمام الدراسة في الأزهر ، ولم يقف الكاتب في ذلك عند حدود ذاته وحياته الخاصة فحسب ، بل تجاوز إلى ذوات الآخرين المتصلين بحياته ، إنه صور مصرية حياة

أسرة فقيرة هي أسرته ، باعتبارها نموذجاً لآلاف من الأسر المصرية ، وسجل حياة قرية مصرية متخلفة هي قريته بصفتها صورة لعدد من القرى المتناثرة على أرض الوطن ، ولم يكن الكاتب مصوراً صادقاً فحسب بل كان ناقداً كذلك ، اتخذ الكاتب من الصور التي عرضها سبيلاً إلى تجسيم عيب أسري أو اجتماعي أو تربوي لينبه المجتمع إليه ، ويجذب الانتباه إلى إصلاحه والقضاء عليه ، فالكتاب لنا مأساة الولد الصغير الذي فقد بصره نتيجة للإهمال في التربية ، فبدأ يتصل بالحياة بحواس ناقصة ، وإمكانيات محدودة ، وبذل في سبيل ذلك الكثير من هدوء النفس والطمأنينة .

والكتاب يقدم لنا صوراً حية لأسرة هذا الصبي من أبيه المثقل بحمل العيال وكثرة العمل إلى أمه المتعبة من شئون البيت ورعاية الأولاد والزوج ، ومن أخيه الأزهري الذي كان المثل الأعلى للصبي ، إلى أخيه الآخر المدني الذي اختطفه الموت وهو في مقتبل عمره ، ثم من تلك الأخت التي تحبه وتفضله بالرعاية والود ، إلى هذه الأخت التي خلفت وفاتها للأسرة حسرة لا يعدلها إلا الحسرة على أخيها الذي داهمه الموت ، وبالإضافة إلى ذلك يصور الكتاب بعض مناسبات أفراح الأسرة أيضاً ولو كانت قليلة .

يتعدى الكتاب من رسم صور أسرية إلى تقديم مشاهد قروية كثيرة ، ويهتم بصفة خاصة ذلك "الكتاب" الذي حفظ فيه القرآن ، ويتحدث عن "سيدنا" الذي يعتبره الخطوة الأولى في حياة أهل الريف الثقافية ، ويصور كيف كانت الحياة في هذا الكتاب وكيف كانت العلاقة بين المعلم والمتعلم ، ولا تقوم على أسس سليمة ، ومن الصعب أن تنتج عقولاً أو أجساماً صحيحة أو نفوساً بعيدة عن التعقيد .

ولا يكتفي الكتاب بالحديث عن سيدنا كعلم من أعلام القرية في ميدان المعرفة ، بل يتحدث عن قاضي الشرع ، وعن إمام المسجد وعن بعض أصحاب الطرق الصوفية ، وعن أثر هؤلاء جميعاً على القرية .

يستمر المؤلف عرض حياته ، وما حولها من حياة أسرته ، وما حول حياة أسرته من حياة القرية بقيمها المادية والروحية ، وما في ذلك كله من قسوة الظروف وظلام الأفق وشظف العيش ، وكيف أتم الصبي حفظ القرآن في مثل هذه الأوضاع وحصل على العلوم الدينية لكي يلتحق بالأزهر ، ويصف لنا وصفاً دقيقاً كان أمله وتطلعه للالتحاق بالأزهر ، وكيف كان

ولعه وشوقه للجلوس أمام شيوخه ، ولكن ذهب كل أمله وذهب شوقه إلى أدراج الرياح ، لأنه عند ما وصل إلى الأزهر وجلس للاستماع إلى درس الشيخ فبدأ الشيخ يقول في درس عن الطلاق (ولو قالها أنت طلاق ، أو أنت ظلام ، أو أنت طلال ، أو أنت طلاة ، وقع الطلاق ولا عبرة بتغيير اللفظ ، يقول ذلك متغنيايه مرتلاً له ترتيلاً في صوت لا تخلو من حشرجة ، لكن صاحبه يحتال أن يجعله عذباً ثم يختم هذا الغناء بهذه الكلمة التي أعادها طوال الدرس (فاهم يا أدع) وأخذ الصبي يسأل نفسه عن الأدع هذا ما هو ؟ إذا انصرف عن الدرس سأل أخاه ما الأدع ؟ قهقه أخوه وقال الأدع : الجدع في لغة الشيخ" (١) .

الجزء الثاني : وفي الجزء الثاني من كتاب "الأيام" يجول بنا طه حسين في رحاب الأزهر وأدراجه وزواياه ، وينتقل بنا من حلقة نحو ، إلى حلقة فقه ، إلى حلقة لغة ، إلى غير ذلك من مجتمعات الطلاب الأزهريين ، وكان الأزهر إذ ذاك "في آخر أيامه السعيدة التي لم يكن النظام يحصي فيها على الأساتذة الطلاب أيام العمل وأيام الراحة ، والتي لم يكن فيها النظام يأخذ الأساتذة والطلاب بهذه المواظبة القاسية على الدرس في جميع أيامه وفي جميع أوقاته ، وإنما كان الأمر هيناً سهلاً ، الأساتذة كانوا أحراراً يبدأون متى أرادوا أو متى استطاعوا ، والطلاب أيضاً كانوا أحراراً يقبلون على الدورس متى أحبوا أو متى أتاحت لهم ظروفهم أن يقبلوا عليها" (٢) وكثيراً ما يتوجه بالنقد اللاذع إلى الأزهر وإدارته ، فيقول مثلاً : "هذا يصور حال هذه الجماعات الضخمة من أبناء الريف التي كانت تفد على القاهرة لتدرس العلم والدين ما تستطيع ، ولكنها تصيب معها ألواناً من علل الأجسام والأخلاق والعقول" (٣) وكثيراً ما يعلن طه حسين أن ما اكتسب في هذه البيئة القاهرية وإدارته من العلم بالحياة وشؤونها ، والأحياء وأخلاقهم لم يكن أقل خطراً مما اكتسبه في بيئته الأزهرية من العلم بالحياة وشؤونها ، إلا أنه يأخذ على شيوخ الأزهر تمسكهم الأعمى بكل قديم واحتقارهم العدائي لكل جديد أو تجديد ، وهو يضيق بهم كل الضيق ، ويحس في أعماق نفسه بحاجة إلى الحرية ، وفي أحد الأيام كتب مقالاً عنيفاً يهاجم فيه الأزهر كله وشيخ الأزهر خاصة ، ويطالب فيه

(١) الأيام ، ج/١ ١٣٠ – ١٣١ . (٢) الأيام ، ج/٢ ٢٤٠ – ٢٤١ . (٣) الأيام ، ص/٢٤١ .

بحرية الرأي ، ولكن صاحب الجريدة الذي دفع إليه الشاب مقاله لم يجرؤ آنذاك أن ينشره (وفي مكتب مدير الجريدة ظفر الفتى بشئ طالما تمناه ، وهو أن يتصل ببيئة الطرابش بعد أن سئم بيئة العمائم ، ولكنه اتصل من بيئة الطرابيش بأرقاها منزلة وأثراها ثراء ، وكان وهو فقير متوسط الحال في أسرته ، سيئ الحال جداً إذا أقام في القاهرة ، فأتاح له ذلك أن يفكر فيما يكون من هذه الفروق الحائلة بين الأغنياء المترفين والفقراء البائسين) (٤) .

في أثناء ذلك انشئت الجامعة فراح الطالب يقبل عليها وينتسب إليها ، فيختلف إلى دروس الأزهر مصبحاً ، وإلى دروس الجامعة ممسياً ، وإذا هو يجد للحياة طعماً جديداً ، ويتصل ببيئة جديدة ، وبأساتذة لا سبيل إلى الموازنة بينهم وبين أساتذة الأزهر .

وفي الجزء الثالث من كتاب "الأيام" يحدثنا طه حسين عن فترة جديدة من حياته هي فترة الصراع في سبيل التجديد والانفتاح ، وفترة الانتقال إلى عالم جديد هو عالم أوربا ، فقد ضاق الفتى ذرعاً بالأزهر ونظامه التعليمي ، واتصل بالجريدة ومديرها الأستاذ لطفي السيد كما اتصل بالشيخ عبد العزيز جاويش ، وراح يكتب المقالات النقدية ، ولكن نقده كان محافظاً إلا في شئون الأزهر الذي كان يهاجمه طه حسين مهاجمة عنيفة في غير رفق ولا اعتدال ، ويعبث بشيوخه كل العبث ، بشجعه على ذلك الشيخ عبد العزيز جاويش ، وقد أثار ذلك كله حفيظة الأزهريين فعملوا على إسقاطه في امتحان العالمية وعملوا وعملوا على فصله عن دروس الأزهر ، ولكن عبد العزيز جاويش قال للفتى : "لا بد من أن نصنع شيئاً لإرسالك إلى فرنسا عامين أو ثلاثة أعوام" (٥) فكان لهذا القول في نفس الفتى أصداء بعيدة ، وعاش بعد ذلك عيشة أمل وانتظار ، وقد انصرف إلى الكتابة في مجلة "الهداية" التي أنشأها الشيخ جاويش ، وراح يقارع العلماء على صفحاتها مقارعة أنكر بعضها فيما بعد ، وعند ما أقيم لخليل مطران احتفال في الجامعة تعرف إلى الآنسة مي زيادة فسعى إلى حضور مجلسها وقد وجدها "تستقبل الزائرين من الرجال ، حفية بهم ، معاتبة لهم في رشاقة أي رشاقة ، وفي ظرف أي ظرف ، وفي حديث عذب

(٤) الأيام ، ص/٣٦٦ (٥) الأيام ، ص/٤٣٢ .

يخلب القلوب ويستأثر بالألباب" (٦) ، وكان ترحيبه ببروز المرأة على مسرح الحياة الاجتماعية الفكرية ترحيباً لا حد له .

ويذكر طه حسين في هذا الجزء من الأيام حال سفره إلى فرنسا ، وأحوال الدروس والتحصيل فيها ، وكل ما واجه في الحياة الباريسية من المشاكل والصعوبات ، وظل كذلك إلى أن وفقه الله إلى ملاقاة الفتاة التي عطفت عليه وكانت له في حياته العين المبصرة ، وكانت له الزوجة الرفيقة والمخلصة ، ويعود إلى القاهرة بعد نيله دكتوراة الثانية وشهادة الدراسة العليا في التاريخ من السوربون ، ويدرس في الجامعة ، وتغريه السياسة فينحاز إلى جماعة عدلي باشا ، فيلقى من جماعة سعد زغلول ، أي جماعة الوفد ، سخطاً : "يراه السعديون مارقا قد مالأ المارقين ، ويراه القصر كافراً بالنعمة جاحداً للجميل ، ويرى هو أنه أرضى ضميره وأدى واجبه ، وليكن بعد ذلك ما يكون ، كل ما لقيه بعد ذلك في حياته من خير وشر ، ومن عرف أو نكر ، ومن رضى أو سخط لم يكن إلا أثراً من آثار تلك السياسة التي أقدم عليها غير حاسب لأعقابها ونتائجها حساباً ، وكان يعرف نفسه حين يشقى في سبيل ما يرى أنه الحق ، وينكرها أشد الإنكار بل يبغضها أشد البغض إذا نعم بالخفض واللين لأنه صانع أو داج أو جهر بغير ما يسر ، أو آثر رضي السلطان على رضي الضمير" (٧) .

هذا بعض ما ذكره لنا طه حسين في كتابه "الأيام" وقد كان في هذه السيرة الذاتية رائع الفن ، ممتع الحديث ، صريح القول ، يتتبع الأحداث في ذاكرته وفي نفسه وفي مجتمعه ، فيثير فيك عالماً من الإشفاق ، والاهتمام ، والانتصار لما يقول ويفعل ، وفي كل هذه الحالات تروعك الرصانة التي تهيمن على كل شيء ، والإشراق الروحي الذي ينبعث من أعماق تلك الرصانة ، والشفافية النفسية التي تتراءى من خلالها النفس الطيبة ، اللينة التي تذوب ليناً في المواقف الإنسانية ، ويتحول لينها إلى صمود في نصرة الحق والعدل ، ولئن ثار على الأزهر وأركان التعليم فيه فما ذلك إلا غيرة على الحقيقة الدينية ، وعلى مستقبل الأمة المصرية التي يقيد التزمت والجمود عقول أبنائها ويبعدهم عن جادة الحضارة والرقي ، قال طه

(٦) الأيام ، ص/٤٣٢ . (٧) الأيام ، ص/٦٨٧ – ٦٨٩ .

حسين في كتابه "مستقبل الثقافة في مصر" : "لا بد من أن يجاري الأزهر هذا التطور ليكون اتصاله بالأجيال الناشئة والأجيال المقبلة أجدى وأقوى من اتصاله بالأجيال الماضية والأجيال الحاضرة ، الشر كل الشر أن يتحدث رجل الدين إلى الناس فلا يفهمون عنه لأنه قديم وهم محدثون ، وأن يتحدث الناس إلى رجل الدين فلا يفهم عنهم لأنهم محدثون وهو قديم ، إن مهمة الأزهر أخطر جداً مما يظن الأزهريون ، وإذن فلا بد من أن تكون سيرة الأزهر ونظم التعليم فيه ملائمة لهذه المهمة الخيرة" (٨) .

هكذا ترى الكاتب يلفت الأنظار إلى ما كان عليه الأزهر من تخلف وتدهور ويوجه إلى الإسراع بتحسين أوضاعه لأنه كان أملا للملايين من أبناء الوطن والبلاد الإسلامية .

وعلى هذا النحو نجد الكتاب يعرض صور المجتمع المصري في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ويقدم إلينا صورة الثقافة والتعليم في الكتاب وفي الأزهر من جميع أطرافها ، ويتحول طه حسين إلى ما يشبه آلة دقيقة من آلات الرصد تحصي كل هزة كبيرة أو صغيرة في محيطه ، لا بأسلوبه فحسب بل بصراحته ودقته وإخلاصه لحكاية الواقع بجميع حقائقه ودقائقه على النحو الذي تحدث فيه عن نفسه ، بين حاضرها الرغد وماضيه البائس (٩) وكل ذلك بأسلوب بارع سلسال يمس القلوب ويثير العواطف بما فيه من سلاسة وعذوبة وصفاء وقدرة على التصوير والتلوين ، هكذا فأسلوب طه حسين هو أسلوب الترقرق الهادئ الذي يجري ويجري طليا ، في أنسياب متسلسل ، وفي استطالة مترابطة الحلقات ، وفي تكرار لا يمجه الذوق ولا يستثقله الصدر .

وإن الشخصيات والأماكن التي ذكرها المؤلف في الكتاب هي في الحقيقة بمثابة نماذج الشرائح الإنسانية ، فوالد الصبي ، فهو نموذج للرجل المثقل بالأعباء العائلية الذي عبره المؤلف بكلمة "الشيخ" كذلك كلمة "القرية البائسة" التي استخدم المؤلف مراراً هي في الحقيقة تعريض لما تعانيه بلاده من الفقر الروحي والبؤس المادي ، وكذلك يريد المؤلف بتصوير معلم

(٨) مستقبل الثقافة في مصر ، طبعة دار الكتب اللبناني ، ص/٤٣٧ – ٤٣٩ .

(٩) الدكتور شوقي ضيف ، تاريخ الأدب المعاصر في مصر .

كتابه تصوير الأوضاع التعليمية السائدة آنذاك في طول البلاد وعرضه بل وضع علامة الاستفهام على أمانة وإخلاص أساتذة الكتاب والمدارس أيضاً وعبر ذلك بكل صراحة وجراءة ، فيمكن لنا أن نلمح صورة "الشيخ" في كل أب مكافح من أجل عياله الكثيرين ، ونرى صورة القرية في كل قرية تعيش على التخلف والفقر ونلاحظ صورة "سيدنا" في كل معلم ضئيل الحظ من المعرفة .

فماذا كان غرض طه حسين وراء ذكر كل هذه التفاصيل لحياته وأسرته وقريته وبيئته التي عاشها ، فهل كان صادقاً مخلصاً في ذلك أم كان وراء كل ذلك أي هدف آخر ، فلو ألقينا نظرة عابرة على حياة طه حسين الأدبية الابتدائية نجد أنه لم يكن يفكر في كتابة رواية ولم يكن راغباً في مثل هذا العمل الذي اشتغل به الأدباء الآخرون في ذلك الوقت ، بل كان إنتاجه يدور أساسياً على هذا العمل على محورين : الأول الأدب العربي القديم ، ويتعرض فيه بالدراسة والبحث لكبار المفكرين والأدباء العرب من أمثال "ابن خلدون وأبي العلاء وغيرهم ، والثاني يتصل بمحاولته لتقديم الثقافة الأوربية إلى مواطنيه ، وركز اهتمامه على الفكر والأدب اليوناني الفرنسي ، ولكن عند ما ظهر كتابه "الشعر الجاهلي" الذي يمثل حرية التفكير الذاتي المستقل والتمرد على الموروثات العقائدية والمسلمات السائدة أثار ضجة كبرى في المجتمع بل أقام العالم العربي وأقعده ، فهذا ما جعل طه حسين يشعر بان جهل هذه البيئة الذي كان سبباً في حرمانه في طفولته يوشك من جديد أن يكون سبباً في حرمانه في شبابه ورجولته ، وهذا الشعور بالحرمان ربما يكون دافعاً رئيسياً لتأليف "الأيام" وأن يكون رد فعل من جانب المؤلف على الثورة والضجة التي أثارها كتابه "الشعر الجاهلي" .

لو نقوم بدراسة الكتاب دراسة عميقة نجد أن الأمور والأشياء التي عالجها طه حسين والأسلوب الذي تبناه لتقديمها ، ونقوم بتحليلها تحليلاً نقدياً نجد أن تأليف "الأيام" في تلك الفترة من الزمن لم يكن من قبيل المصادفة بل كان أمراً مخططاً من قبل المؤلف للتعبير عن سخطه و ردود فعله ضد الثورة والضجة التي أثارها كتابه "الشعر الجاهلي" لأن "الشعر الجاهلي" ظهر سنة ١٩٢٦ وظهر الأيام سنة ١٩٢٩ ، وقد نشر قبل ظهوره مسلسلاً في مجلة الهلال (١٠) فكأنه أراد من خلال هذا الكتاب تأكيد

(١٠) الدكتور شوقي ضيف ، تاريخ الأدب المعاصر في مصر ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ١٩٦١ ، ص/٢٨٠ – ٢٨١ .

ذاته وتصوير عظمة كفاحه ، وعرض صفحات من جلده وثباته برغم أقسى الظروف ، وكذلك أراد الكشف عن الجذور العميقة لجهل البيئة الثقافية ، وإدانة التخلف الفكري الذي عاشها المؤلف ، انتقد المؤلف من خلال مواقفه المختلفة في الكتاب ، ذلك المجتمع نقداً لاذعاً ، واتخذ لذلك طرقاً مختلفة وأساليب نادرة منها لجوءه ضمير الغائب الذي أعطاه مزيداً من الحرية لتصوير هذه المواقف من خلال إحساس الصبي ويعلق عليها هو من وجهة نظره ، ويقف من هذه المواقف موقف المعلق والمحلل والمفسر ، وكذلك انتقاد المؤلف مظاهر الثقافة في القرية خصوصاً النزعة الأسطورية التي تتمثل في السحر والإيمان بالغيبيات ، وكذلك عدم تعاطف المؤلف مع الشخصيات وإهمالها ، ولم يحفظ من نقده القاسي حتى شخصيات أقرب المقربين إليه مثل شخصية والده الذي يتحدث عنه بطل الكتاب فيقول : "وما هي إلا أيام حتى سئم لقب الشيخ وكره أن يدعى به ، وأحس أن الحياة مملوءة بالظلم والكذب ، وأن الإنسان يظلمه حتى أبوه ، والأبوة والأمومة لا تعصم الأب والأم من الكذب والعبث والخداع ، ثم لم يلبث هذا الشعور أن استحال إلى ازدراء للقب الشيخ ، وإحساس بما كان يملأ نفس أبيه وأمه من الغرور والعجب ثم لم يلبث أن نسي هذا كله فيما نسي من الأشياء" (١١) وكذلك نرى المؤلف يصور جده بصورة قاسية هو يقول : "كان جده ثقيل الظل ، بغيضاً إليه ، وكان يقضي في البيت فصل الشتاء من كل سنة ، وقد صلح ونسك حين اضطرته الحياة إلى الصلاح والنسك" (١٢) .

ولا نشعر بتعاطف المؤلف مع الشخصيات إلا في حديثه عن أخته الصغيرة كما نلمح نفس التعاطف في حديثه عن موت أخيه ، والشخصية الوحيدة من الأحياء التي يتعاطف معها المؤلف ، هي شخصية المفتش الزراعي الذي قدم من القاهرة ، وكان يمثل ثقافة أكثر تطوراً ونمواً وانطلاقاً من ثقافة البيئة فهو مطربش يتكلم الفرنسية ، متخرج في مدرسة الفنون الصنائع ، لعل السر في تعاطف المؤلف معه أنه كان الحلقة الأولى التي ربطت بين الصبي وبين الثقافة العصرية .

(١١) الأيام ، ج/١ ص/٣٥ .
(١٢) الأيام ، ج/١ ص/٣١ .

أهمّية المذاهب الفقهية الأربعة

والاختلاف بينها في ضوء آراء الإمام ولي الله الدهلوي رحمه الله

بقلم : الدكتور السيد كمال الله البختيارى الندوى ✧

بحثت في هذا المقال عن أهمّية المذاهب الفقهية وحقيقتها ونوعية اختلافاتها بالإيجاز كما ذكرت بعض آراء الإمام ولي الله الدهلوي المهمّة في هذا الموضوع .

سبب الاختلاف في المذاهب الفقهية :

لا يُخفى على من له إلمام بالتاريخ الإسلامى بأنّ النّبوة والرسالة قبل بعثة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كانت محدّدة ، وكان الأنبياء والرسل يُبعثون قبل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لأزمان محدودة وأوقات معيّنة ، ولم تكن نبوتهم ورسالتهم عالمية وخالدة ، فكان يُبعث نبي بعد نبي ، ورسول بعد رسول ويعلن شريعته أمام النّاس ويبلّغها وينسخ الشريعة السابقة ، ولكن رسالة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عالمية وكاملة وأبدية ، ونبوته جليلة مثالية ورسالته عظيمة خالدة .

إنّ الله عز وجل أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق لجميع النّاس كافّة واختاره ليكون سيد رسله وخاتم أنبيائه وأكمل الله عز وجل على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم دينه وأتمّ نعمته بقوله عز وجل ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ﴾ (سورة المائدة الآية/١٣) ، كما قال الله عز وجل فى مواضع أخرى ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنبياء الآية/١٥٧) ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ (سورة الأعراف الآية/١٥٨) وقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : "إنّى رسول الله إليكم خاصّة وإلى النّاس كافّة" (١) .

(✧) الأستاذ المساعد، قسم البحوث والدراسات العربيّة العليا ، الكلية الجديدة ، (حكم ذاتى) ملتحق بجامعة مدراس تشنائى – الهند .

(١) الدكتور أسرار أحمد ، رسول كامل ، ص/٥١ ، نقلا عن نهج البلاغة .

ومن أجل ذلك يوجد في رسالة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وشريعته مجال للاختلاف بالنسبة لرسالة غيره من الأنبياء والرسل وشريعتهم ، فقد جوّز الإسلام الاختلاف في المسائل الفروعية والأمور الجزئية ، وشاءت قدرة الله عز وجل أن تحل الأمّة المسلمة قضاياها الفروعية بالاجتهاد والقياس والنظر في المنصوص والأصول وتتقدّم الأمّة المسلمة بمؤهّلاتها الفكرية الاجتهادية ، ولو شاء الله عز وجل لبيّن الأمّة المسلمة كلّ أمر جليل ودقيق ، وأغلق باب الاجتهاد والقياس تماماً ولكن الله لم يفعله كي لا تنحصر الأمّة المسلمة في دائرة محدودة ولا تتقيّد الأمّة المسلمة في فعل واحد ، قد أحيا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الاختلاف في المسائل الفروعية والأمور الجزئية في أسوته .

لا بدّ من الاختلاف في المسائل الاجتهادية ، ولا يمكن أن يُختم الاختلاف كلّه ، لأنّ آراء النّاس تختلف وتتنوّع وتوجد الفروق في أفكار المجتمع البشري ولكن لا يوفر الاختلاف في المسائل الأساسية والأمور المنصوصة وأما المسائل الفروعية والأمور الجزئية ففيها مجال للاختلاف ، وهذا الاختلاف خير ذريعة لتبادل الأراء والأفكار بين طبقات المسلمين .

من المعلوم أنّ الاختلاف في المشاعر والانطباعات والميول والعقول أمر طبيعي ويدل على كمال الإنسان وجماله وارتقائه ويمكننا أن نعلم الآراء المختلفة والأفكار المتنوّعة بهذا الاختلاف .من أجل ذلك علماء الأمّة المسلمة وأعلام الملّة الإسلامية رأوا الاختلاف ، وفي المسائل الفروعية والأمور الجزئية خير سبيل للتوسّع وعدوه رحمة لهذه الأمّة المسلمة واعتبروه رحمة واسعة وسبيلا إلى الرقى والازدهار ، إن الفقيه المعروف ابن قدامة المقدسى رحمه الله يقول عن اختلاف ائمة الأمّة المسلمة : "إجماعهم حجّة قاطعة واختلافهم رحمة واسعة" (٢) .

من منن الإسلام على البشرية أنّه جعل الاختلاف في المسائل الفروعية والأمور الجزئية موافقاً لطبيعة الإنسان وجعله للنمو والازدهار

(٢) الشيخ يحيى النعمانى الندوى ، تقليد اور مسلكى اختلاف كى حقيقت ، (التقليد وحقيقة الاختلاف الفقهية) ص/١٥٨ ، نعمانى اكيدمى ، ٢٠١٣ نقلا عن جامع بيان العلم ، لابن عبد البر .

والارتقاء ، ويمكن أن نقول : ينقسم المسلمون اليوم إلى أربع طوائف أساسية ، هم الحنفيون والشافعيون والمالكيون والحنابلة ، والاختلاف بينهم في الفروع والجزئيات فحسب ، وأما في الأصول والكلّيات فهم سواء وهم متّحدون وبالعكس من ذلك الشعوب الأخرى تختلف في الأصول والكلّيات فضلا عن وحدتهم في الفروع والجزئيات ولا يوجد بينهم الوحدة والتضامن .

الصور الاستثنائية في الأسوة النّبوية صلى الله عليه وسلم :

جميع أقوال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وأفعاله سواء لجميع المسلمين باعتبار الأهمّية والعمل ويجب عليهم الأخذ بها ، ولكن تتوافر الصور الاستثنائية التي تتعلّق بأهلية التكلف وعدم أهليته .

أقدّم إليكم بعض الأمثلة .

أحدها : رجل لا يجد سبيلاً إلى الحج ، فلا يجب عليه الحج ، بل يكون خارجاً عن الأمور المتعلّقة بالحج .

والثاني : رجل مفلس لا يقدر على إيتاء الزكاة ، ولا يملك النصاب فلا يؤمر بالزكاة ولا يكون خاضعاً لأحكام الزكاة .

والثالث : تثبت فضيلة التجارة في ضوء أقوال وأعمال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، ولكن بعض النّاس لا يهتمّون بالتجارة باعتبارها مهنة ، وهؤلاء النّاس لا ينطبق عليهم أحكام التجارة ، وعلينا أن نقيس على هذا، الأمور الاستثنائية الأخرى من الدين ، وقد ذكر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أقوالا متعدّدة تحت مسألة واحدة وأفعالا مختلفة تجاه فعل واحد ، يثبت بعض الروايات أنّ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم رفع يديه في الصلاة أحياناً ولم يرفع يديه في الصلاة أحيانا وهكذا وصل إلينا بعض الروايات التي فيها يوجد ثبوت آمين بالجهر وبعض منها لم تثبته ، هكذا وردت أهمّية قراءة الفاتحة خلف الإمام وفي بعض الروايات ما وردت أهمية قراءة الفاتحة خلف الإمام ، وهذه المسائل كلّها تتعلّق بالفروع والجزئيات ولا تتعلّق بالثوابت والكلّيات .

وقد كان عمل الصحابة رضي الله عنهم مطابقاً لما شاهدوه من عمل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ويعني ذلك أن بعض الصحابة الكرام رأوا صورة واحدة فعملوا بها ، وبعض منهم رأوا صورة ثانية فعضّوا

عليها بالنواجذ ، الحقيقة أنّ الاختلافات بين الصحابة الكرام والتّابعين العظام والائمة المجتهدين الكبار إنّما هي من الضرورة البشرية الفطرية وهي خير ذريعة للتنمية والرقي ، وقد راعاها الإسلام كلّ رعاية ، وعمل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بمقتضاه ، والذين لا يتوجّهون إلى هذه الحقيقة هم نقدوا على الأحاديث واختلاف الأمّة ، وهذا دليل على عدم المعلومات المتوافرة والعقل .

الائمة الأربعة وأهمّيتهم في التشريع الإسلامى :

وكان الائمة الأربعة : الإمام أبوحنيفة والإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله لهم أهمّية كبيرة منذ بداية عهد تبع التّابعين ، وظلّت جماعة كبيرة من الأمّة المسلمة يتّبعونهم في اجتهاداتهم الفقهية ويعتبرونهم كزعمائهم وقادتهم وكانوا صلحاء وأصحاب الفضل في عصورهم وهم وقفوا حياتهم كلّها على فهم شريعة الإسلام وتفهيمها وقاموا بخدمة الأمّة المسلمة من خلال اجتهاداتهم ومحاولاتهم ، وقاموا ببذل المجهودات بصدد حل القضايا الفقهية مع رعاية رضا الله ورسوله في كلّ ذلك ، وتلك مآثرهم العظيمة وستكون باقية ما دامت الأرض والسماء وهي لهذه الأمّة ثروة عظيمة للعلم لا يوفى حقّهم مهما نشكر الله على ذلك كان هولاء الائمة الأربعة متقين وعالمين ومتبحرين وعاملين بالكتاب والسنّة ، وهم خدموا خدمات جليلة مثالية وساهموا مساهمة كبيرة تاريخية في مجال الشريعة الإسلامية ، وهم كانوا يتشاورون مع تلاميذهم في حل المسائل الفقهية وبحثوا وفتّشوا في الكتاب والسنّة وجمعوا ذخيرة واسعة لا نهاية لها ، وهم قضوا كل الحياة خالصة لله تعالى ، ولا ينكر هذه الحقيقة من له إلمام بالتاريخ الإسلامي العظيم الذي حافل بمآثرهم ومحامدهم وخدماتهم وتوضيحاتهم والمذاهب الفقهية عبارة عن اجتهاداتهم ، وإنّهم تناولوا من الإسلام أقسام العبادات والمعاملات والمعاشرة بالبحث والتحقيق وتركوا أمورها الأساسية والمنصوص عليها ، فقد صرّح بها القرآن الكريم والحديث النّبوى الشريف .

إنّ الآراء والأفكار الفقهية في الحقيقة للترجيح لا للتبليغ، كان العلماء الكبار والصلحاء العظام لم يقوموا بدعوة النّاس إلى مذهب خاص

من مذاهب الفقه بواسطة أوبلا واسطة ورأوا المذاهب الفقهية كلّها حقا ، وأما ما وجد بين المذاهب الفقهية الأربعة من الاختلافات فهي من ناحية كون مسائلها أولى وغير أولى ولا اعتبارا بها غلطا ، وما جاوز حدود الاختلاف في العهد الأول فلم يكن سبباً لغضب النّاس على الذين كانوا يتّبعون المذاهب الأربعة وهم كانوا يكرمون ويحترمون جميع الأئمة ، يقول : الشيخ السيد الشاه صبغة الله البختيارى رحمه الله "لهذا الفقه الإسلامى أربعة عهود، كان العهد الأول تمذهبا والعهد الثانى تهذيبا والعهد الثالث تصلبا والعهد الرابع تعصباً وتحزبا ، وصار هذا العهد الرابع مضراً للمسلمين وحتى الآن المسلمون واقعون فى هذا العهد الرابع" (٣) .

الحقيقة أن كثيراً من النّاس يتّبعون ويقلّدون في أقطار العالم أربعة مذاهب وهم الحنفيون والمالكيون والشافعيون والحنابلة ، خلاصة الكلام أن كثيراً من النّاس في هذا الزمن ينحصرون في أربعة مذاهب ، والاختلافات التى توجد فيها بينهم توجد في الفروع والجزئيات لا في الأصول والكلّيات ، صرّح العلماء الكبار والصلحاء العظام : لايمكن العمل في وقت واحد على جميع المذاهب ، فلا بدّ على النّاس أن يعملوا بمسلك واحد .

المذاهب الفقهية في ضوء آراء الإمام ولي الله الدهلوي وأفكاره :

إنّ شخصية الإمام ولي الله الدهلوي (المولود سنة ١١١٤هـ المتوفى سنة ١١٧٦هـ) كانت من أبرز الشخصيات للإسلام ومن أشْهَرِ المصلحين والمفكرين والمجددين والمبلغين الذين حملوا لواء الإصلاح ، والتجديد وتركوا آثارهم المشرقة الزاهرة في مجال العلم والفكر التي هي قدوة للمسلمين ومصدر لجميع المدارس الدينية العربيّة ولجميع المذاهب الأربعة بشبه القارة خاصّة وبالعالم الإسلامى عامة ، إن الله عز وجل قد منّ على الأمّة المسلمة أكبر منة لما أنّه خلق مثل الإمام الدهلوي ، ومآثر أسرته العلمية ومساعيهم الدعوية وبحوثهم الإسلامية من أروع أبواب التاريخ ، لا لمسلمي الهند فقط بل للعالم الاسلامي كلّه ، وحركة "ولي الله" تمتاز

(٣) الاستفادة من كلمات الشيخ السيد الشاه صبغة الله البختيارى ، (أحد العلماء الكبار في الهند) .

بخصائصها البارزة وبما فيها من التوسّع والشمول ، في العالم الإسلامي كلّه ، وهي عبارة عن القرآن الكريم والأحاديث النّبوية والفقه الإسلامى والاستيعاب من الإحسان والسّلوك ، وقد قدّمت هذه الحركة التوضيحات لفهم الدين ، والكليات والجزئيات للعمل به من أحسن وجه بالنظر إلى ما تقتضي الأحوال وبمراعاة مسيرة الزمان ، وفيها إيضاح لحماية الإسلام مع نشره ، هذه هي ميزات رائعة لها .

قد قال الإمام الدهلوي عن الخصائص البارزة الممتازة لهذه المذاهب الأربعة : "إنّ هذه المذاهب الأربعة التى تُروج في العالم في هذه الأيام نُقلت فيها أقوال العلماء والمفكرين وبحوثهم العلمية بأسانيد صحيحة ، ودُوّنت في كتب معروفة ذائعة الصيت ، بُحثت فيها مثل ما سهلت الفرق بين الراجح والمرجوح وبين العام والخاص وبين الإطلاق والتقييد ، ووُفقت بأقوال مختلفة متعدّدة ، ووضحت العلل للأحكام ، وقد أُجري البحث عن تنقيح ذخائر الأحكام التي هي موجودة في المذاهب الأربعة ، بجوانب مختلفة ، هذه من الصفات والخصائص التي لها حاجة إلى الاستناد في البحث والتحقيق (٥) .

المذاهب الأربعة سواء في الخصائص والميزات المذكورة أعلاه ، كما أنّها سواء في الدرجة والمنزلة ، ولا فضل لبعضها على بعض ، هذا الرأي للإمام الدهلوي ، وهو ينتمي في استفادته الروحية من النّبى الكريم صلى الله عليه وسلم ، قال الإمام الدهلوى : إنّنى سألت النّبي صلى الله عليه وسلم عن هذه المذاهب الأربعة ، أي منها أحبّ إليك ويليق باتباعه فألهم في قلبي أنّ كلا منها سواء ولا فضل لبعضها على بعض (٦) .

قد مرّ رأى الإمام الدهلوي وتعليقه على الاختلافات الفقهية ومذاهب الأمّة الإسلامية ، أن معظم المسائل المختلف فيها هي جزئية بمنزلة تحديد الراجح والمرجوح أو بمنزلة تحديد الأفضلية ولكلّ من المذاهب دلائل وصور مشروعة ، قد أعرب الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله عن انطباعاته

(٥) الإمام ولي الله الدهلوي ، حجة الله البالغة ، المجلد – ١ ، ص/١٤٦ ، دار التراث ، مصر .

(٦) الإما ولي الله الدهلوي ، التفهيمات الإلهية ، المجلد – ٢ ، ص : ٢٥ ، المجلس العلمي ، دابهيل ، ١٣٥٥هـ .

الرفيعة وإرشاداته القيّمة حول المذاهب الأربعة ومؤسسيها وقد تعيّن ميزاتها حيث قال : الإمام أبوحنيفة رحمه الله ، "كان رفيع المنزلة ، عالما بالاجتهاد والاستنباط دقيق النظر فى تخريج الأحاديث والمسائل" (٧) .

علّق على تأليف الإمام مالك رحمه الله : "أصحّ الكتب بعد كتاب الله مؤطا الإمام مالك" (٨) .

عبّر عن رأيه حول الإمام الشافعي "أقرب المذاهب الأربعة من السنّة مذهب الإمام الشافعي رحمه الله" (٩) .

واعتبر الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله فقيها مع كونه محدثا ، وقال : "إنه كثير الرواية من المحدثين ، عالم بالحديث ودقيق النظر في التفقه" (١٠) ، تدل آراء الشاه ولي الدهلوي على أنّ المذاهب الأربعة عنده مدوّنة ومصونة عن اللغووالحشو والزوائد .

ومن سوء الحظ في العصر الحاضر أن المسلمين ما فهموا مرونة الإسلام وما عرفوا التوسّع الفطري في المسائل الفروعية والأمور الجزئية حق المعرفة وهم جعلوا المرونة الطبيعة ذريعة الإفساد دون الإعمار والاستقرار ، وفرّقوا صفوف المسلمين وأضروا بالاتحاد فيما بين المسلمين ، بهذا السبب يفهم غير المسلمين في الهند خاصّة والشعوب العالمية الأخرى عامّة أنّ اختلافات المسلمين تتعلّق بالمبادئ والأصول وبجانب آخر يتمتّع الأوروبيون وأعداء الإسلام من جدال المسلمين وينسجون خيوط تدمير المسلمين في أنحاء العالم كلّه وتتبدّل الأوضاع يوماً فيوما .

فمن الواجبات الرئيسية للمسلمين في هذا العصر ترك الاختلافات الفروعية وإيجاد الوحدة والتضامن في صفوفهم وأن يركزوا على محاور الإسلام الأساسية وقضاياه الأصلية ويلتزموا بالاعتدال والتوسط عملاً بآراء الإمام الدهلوي وتعاليمه حتى يتقدّموا إلى الأمام ويحقّقوا النبوغ والرقي في مجالات الحياة ، فإنّ ذلك حاجة الساعة ونداء هذا العصر .

(٧) الإمام ولي الله الدهلوي ، حجة الله البالغة ، المجلد – ١ ، ص : ١٤٦ ، دار التراث ، مصر .

(٨) المصدر السابق .

(٩) الإمام وْلي الله ، الخير الكثير ، ص/١٢٤ ، المجلس العلمي ، داهبيل ١٣٥٢ الهجرية .

(١٠) الإمام ولي الله الدهلوي ، حجة الله البالغة ، المجلد – ١ ، ص/١٥٠ ، دار التراث ، مصر .

صور وأوضـــاع :

العداء للإسلام سبب الصراع في العالم الإسلامي

محمد واضح رشيد الحسني الندوي

يدل الوضع السائد في سائر الدول العربية التي قامت فيها الثورات ، من ليبيا إلى الشام ؛ بما فيها مصر، أن الثورة أخفقت في إنشاء نظام بديل، أو نظام أفضل من النظام الذي تمّ قلبه بالثورة التي عرفت بـ "الربيع العربي" ، ولم يتحقق هذا التعبير الربيع ، بل تحول الربيع إلى الخريف ، فتستمر حالة عدم الاستقرار ، ويواجه عمل تشكيل حكومة جديدة ، صعوبات ، ويصعب التوصُّل إلى اتفاق لانتخاب من يتولى الحكم .

والسبب الرئيسي لعدم الاستقرار وفشل الجهود لإقامة نظام جديد ، هو بُروز العنصر ذي الاتجاه الإسلامي ، رغم ثقافته العصرية ، وخبرته في ميدان الحياة ، ولمجرد انتمائه إلى الحركة الإسلامية، أو التزامه بالتعاليم الإسلامية، تقام عقبات في سبيل تولّيه الحكم ، ويرجع ذلك إلى الخوف من الإسلام والحكم الإسلامي ، الذي بثّه جهاز العلم والإعلام الغربي منذ قرون ، ولم تقبل هذه الدعاية العناصر غير المسلمة فحسب ؛ بل قبلت هذه الدعاية العناصر المسلمة التي نالت الثقافة الغربية ، واعتمدت على الكتب التي ألّفها المفكرون الغربيون ، والذين عاشوا في ظل وسائل التربية الغربية ، وفرضت على النفوس هيبة وذعر بالنسبة للإسلام ، والمنتسب إلى الإسلام .

وقد كان ذلك السبب الرئيسي لقلب عملية انتقال الحكم إلى أيدي المنتخبين في مصر ، ومثل ذلك يحدث أو يخشى أن يحدث في تونس وليبيا ، وذلك هو السر في تأخير حل قضية سوريا .

إن الوضع الذي يسود الدول التي قامت فيها الثورات ، أسوأ مما كان قبل الثورة ؛ فقد اختل النظام في كل مجال من مجالات الحياة ، فحدثت تفرقة بين مختلف طبقات الشعب ، وأدّى هذا الوضع إلى تدهور وضع الأمن والقانون للصراع بين مختلف صفوف الراغبين في الحكم ، ولا يوجد رغم انقضاء عام أو أكثر ، مؤشر إلى إصلاح الأوضاع ، أو على الأقل إقرار الأمن ، وقد أتاح هذا الوضع للعناصر الخارجية فرصة للتدخل أو الإفساد ، تزيد في الأوضاع تدهوراً وتوسيع الفجوات عمقاً ، وإحداث الفرقة

بين صفوف المسلمين .

وأحدث دليل على ذلك ما يحدث في تركيا ؛ فقد أحرزت تركيا في قيادة طيب أردغان تقدماً اقتصادياً ، وأحرزت مكانة سياسية ، ولكن تقوم فيها مظاهرات للإطاحة بحكمه بتهمة واحدة ، وهي أنه يريد أسلمة تركيا ، فقد أفادت جريدة "الشرق الأوسط" في صفحتها الالكترونية (٧/نوفمبر٢٠١٣م) أنه بدأ الصراع بين حكومة أردوغان ومعارضيها لاطلاقه وعداً بالعمل على منع مساكن الطلاب المختلطة باسم الدفاع عن الأخلاق ، وبعدما تمّ التطرق إلى هذا الملف في اجتماع مغلق لحزبه العدالة والتنمية ، شن أردوغان هجومه علناً أمام البرلمان حيث بدأ عدد من النواب النساء منذ أسبوع بالحضور إلى البرلمان محجبات .

وقال أردوغان في كلمته الأسبوعية أمام نواب حزبه : «لم ولن نسمح باختلاط الفتيات والفتيان في مساكن الدولة» وأضاف : «يمكن أن تحدث أمور كثيرة عند الاختلاط ، إننا نتلقى شكاوى من العائلات التي تطالبنا بالتدخل» كما أوصى إدارات المحافظات الـ٨١ في البلاد للعمل على هذه المسألة .

وأفاد مصدر رسمي بأن ٧٥ في المائة من مساكن الطلاب التي تديرها مؤسسة يورتكور الرسمية تفصل بين الشبان والشابات ، ويفترض ألا يبقى أي منها مختلطاً مع مطلع ٢٠١٤ ، لكن رئيس الوزراء سبق أن أكد أنه لن يكتفي بذلك ، ففي كلمته تحدث عن فكرة توسيع معركته لتشمل مساكن الطلاب الخاصة والسكن المشترك. وصرح أمام نوابه : «لا يمكن للطلاب والطالبات الإقامة في المنزل نفسه ، هذا مخالف لبنيتنا المحافظة الديمقراطية» .

ولا يعد المعارضون السياسيون والمدافعون عن حقوق المرأة أو عن العلمانية مبادرة رئيس الوزراء أمراً مضحكاً ، فهم يكثفون الانتقادات لمثال آخر على مساعيه «لأسلمة» البلاد ، وصرح كمال كيليتشيدار أوغلو رئيس حزب الشعب الجمهوري أهم حزب معارض : أن «نية أردوغان الحقيقية هي إنهاء الاختلاط في التعليم بشكل عام» ، متهما أردوغان بالسعي لتطبيق جدول أعمال إسلامي .

وقال في اجتماع برلماني للحزب في أنقرة : «لديهم خطة في باطن عقولهم ، إنهم يرغبون في تحويل تركيا إلى دولة شرق أوسطية» ، حسبما نقلت «رويترز» ،

وأضاف أنه : «ينبغي على كل مواطنينا وخاصة نساءنا الانتباه» .

وذهب آخرون أبعد من ذلك ، فبعد صدور القانون الذى يقيد بيع الكحول واستهلاكه والذى غذى الاحتجاجات ضد الحكومة في يونيو (حزيران) ثم المرسوم الأخير الذى يجيز وضع الحجاب في الوظائف الرسمية ، ندد هؤلاء بأجندة حزب العدالة والتنمية .

وصرحت بيرسان تيمير التى ترأس جمعية نساء الأناضول : «تحت أعيننا تتحول الجمهورية التركية إلى دولة إسلامية». وتابعت أن «الجمهورية العلمانية كما كنا نعرفها تختفي تدريجيا" .

إن من يتابع الأحداث يدرك مدى ذعر أوربا اليوم وهولها من الصحوة الإسلامية ، أكثر مما كانت مصابة بهما في الماضي ، فقد كان صوت الإسلام ضعيفاً في الماضي ، وكانت الدول الإسلامية أضعف اقتصادياً وسياسيا ، ولم يكن للإسلام مؤسسات ولا حركات ، ولا إعلام يسمع أو يشاهد ، وقد تغير هذا الوضع ، ويشاهد الإسلام متحركاً في أوربا نفسها ، وقد عاش الإسلام كالشبح المخوف للدول الغربية طويلاً ، فتضخم هذا الذعر الكامن من جديد ، بأقلام الكتاب الغربيين الذين يبرزون خطورة عودة الإسلام بالإعلام ، ويفخمون كل ما يحدث في العالم الإسلامي من حركة وجهد للدعوة الإسلامية ، ونقد للحضارة الغربية ، وقد أثبتت التجارب أن الأوربيين قوم سذج يثقون بالإعلام ثقة الآخرين بالمقدسات ، ويستغل الإعلاميون الغربيون هذه السذاجة لقومهم ، فتعيش أوربا نتيجة لهذه الدعاية ضد الإسلام والمسلمين في نفسية الذعر التي خلقها الكتاب في القرون الماضية وأثارها المغرضون من الساسة المعاصرين ، فتشكل الدعوة إلى الإسلام بالنسبة لأوربا والمؤمنين بعظمتها الأسطورية ، دعوة تنذر بعاقبة وخيمة لها ، كأنها دعوة إلى الرجوع إلى عهد غزو أوربا : عهد صلاح الدين ، ومحمد الفاتح ، فكان جل اهتمام مفكريها ، وقادتها ، وكتابها أن لا تذكر هذه الكلمة القلقة ، ولا ينبعث ذلك العملاق الذي غيّر مجرى التاريخ ، كلما هب وانتعش ، فتوجه حكومات أوربا الضغط إلى الحكومات التابعة لها : لقمع كل حركة تثير في المسلمين الشعور بالذاتية ، أو ردّ فعل ضد سياسة الاستعمار الغربي ، وكبت كل صوت ناقد للحضارة الغربية ، وسد كل باب للعمل الإسلامي الذي يدعو إلى تغيير منهج الحياة ، إنها لا تخاف المساجد ، ولا المصلين ، ولا الصائمين ، وإنما

تخاف الدعاة إلى الإسلام والناشطين له ، والمصلحين والمفكرين الذين يقومون بتربية الأجيال الناشئة ، ويؤثرون في أذهان المثقفين ، وينتشر نفوذهم في الدوائر الرسمية والحكام .

إن النظم التي تحارب الإسلام اليوم في الواقع لا تحاربه إلا بإيعاز الدول الأوربية التي ثارت على الإسلام من جديد كرد فعل للصحوة الإسلامية التي تنتشر وتتوغل إلى أوربا نفسها ، وستعود هذه النظم إلى الحق بعودة الاستفادة فيها ، و تنامي الشعور، وانبعاث الوعي الإسلامي في شعوبها وتجربتها مع الغرب بمرور الزمن ، وستنقشع هذه السحب ، كما انقشعت السحب التي كانت أكثر كثافة من هذه السحب عند ما انبعثت في أوربا فلسفات ، وأفكار ، ونظم مهددة للدين ، والأخلاق ، وساد الغرب على العالم كله بفكره وسلاحه ومكره ودهائه ، فلا يوجد لهذه الدعوات والنظم ، والفلسفات ، مكان إلا في بطون الكتب المطمورة، أو في المتاحف التاريخية وخرج الاستعمار بعدته وعتاده وغطرسته .

لقد تغيّر الوضع اليوم تغيراً كبيراً بتأثير التجربة والتعامل مع الغرب ، الذي يواصل سياسة التمييز والجفاء مع العالم الإسلامي ، وكراهية الإسلام وعداء المسلمين الذي تحوّل إلى حملة عالمية بعد أحداث سبتمبر المشئومة ، فإن كثيراً من القادة المسلمين بدأوا يشعرون بجفاء الغرب ، وسوء سلوكه معهم ، رغم ولائهم له ، وتنفيذ ما يملي عليهم من سياسة ، ويجرب ذلك كل من يتحدث معهم في هذا الموضوع ، فيجدهم أكثر صراحة وصرامة في الثقة بالدين ، ونشر تعاليمه ، وأكثر انتقاداً لتدخل الدول الغربية في الشؤون الداخلية ، لكن مصالح بلادهم مرتبطة بالدول الكبرى لأسباب اقتصادية وسياسية .

تعود مسئولية ذلك أيضاً إلى المثقفين المسلمين أنفسهم الذين نشأوا في عهود الاستعمار والعهد الذي تبع جلاء القوى الاستعمارية ، وقيام حكم القادة الذين كانوا يحاكون الغرب في كل مرفق من مرافق الحياة : التعليم والتربية والإعلام ، ولم يوجه الكتاب اهتمامهم إلى إزالة الخوف والتصوير القاتم للحكم الإسلامي ، وإبراز ما يحمل النظام الإسلامي من صلاحيات لإزالة الفساد ، وإقامة العدل ، والمساواة ورعاية حقوق الأقليات والرعية ، والمساواة بين مختلف الطبقات ، وكرامة الإنسان ، وجمع خيرات الدين والدنيا الذي يزخر التاريخ الإسلامي بأمثلته .

إن العالم الإسلامي بدأ يتنفس ، وصوت الإسلام بدأ يرتفع ؛ ليس من مآذن المساجد في الشرق ، بل إنه يرتفع اليوم من المآذن في أوربا ، ومعاقل الغزاة المستعمرين ، قد تناقلت الصحف أن الإقبال على دراسة الإسلام وموجة اعتناقه أكثر تصاعداً اليوم من أي وقت مضى ، وأن حرب الإسلام باسم مكافحة الإرهاب الإسلامي قد دفعت عقولاً كثيرة في مختلف أنحاء العالم إلى فهم ما يدعو الإسلام إليه .

فإذا سارت تعاليم الإسلام في الحياة الفردية والاجتماعية ، وسويت المشاكل بها طوعياً ، وأظهر المسلمون وخاصة الدعاة والعاملون الصبر والحكمة والمثابرة متكاتفين بعضهم مع بعض ، بدون عصبية وتحيز وانفعال بالانتماء الكامل إلى الإسلام والأمة الإسلامية ، مراعين لتعاليمه ، وإذا لم يستنزف العاملون للإسلام قواهم في المجابهات والتصرفات الطائشة ، فإنها سيثبت في وقت قصير أن الإسلام هو الحق المبين ، وأنه مبرأ من كل ما يقوله الأعداء ، وانه هو الدين الخالد ، وأنه هو الحل الوحيد للمشاكل المعاصرة التي تهدد المجتمع الإنساني كله بالفناء ، وأنه لا يحل مشاكل المسلمين فحسب ، بل مشاكل العالم كله ، وصدق الله العظيم ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ❖ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ❖ نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ❖ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ❖ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ❖ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ❖ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة فصلت الآيات/٣٠ – ٣٦) .

وقال : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ❖ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ❖ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ❖ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ .(سورة النحل الآيات/١٢٥ – ١٢٨) .

من كنوز القرآن الكريم :

تفسير القرآن الكريم للعلامة السيد سليمان الندوي

(تفسير القرآن بالقرآن)

(البقرة : ٢٢٠ – ٢٨٦)

جمع وترتيب : محمد فرمان الندوي

ويسألونك عن اليتامى :

قال الله تعالى : ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ❖ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا ❖ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ❖ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (سورة النساء الآيات/٢ – ٥) .

لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم :

قال الله تعالى : ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (سورة المائدة الآية/٨٩) .

فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم :

قال الله تعالى : ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (سورة الحجرات الآية/٩) .

والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء :

قال الله تعالى : ﴿يا أيها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ

يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً﴾ (سورة الطلاق الآية/١) .

الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان :

قال الله تعالى : ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتْ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ (سورة النساء الآية/١٢٨) .

ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا :

قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ❖ وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾ (سورة النساء الآية/١٩) .

والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة :

قال الله تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (سورة لقمان الآيتان/١٣ - ١٤) .

وقال : ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة الأحقاف الآية/١٥) .

لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده :

قال الله تعالى : ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ (سورة الطلاق الآية/٦) .

والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا :

قال الله تعالى : ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ

يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ (سورة الطلاق الآية/٢) .

وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن (٢٣٧) :

قال الله تعالى : ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ (سورة النساء الآية/٢٤) .

وقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾ (سورة الأحزاب الآية/٤٩) .

فإن خفتم فرجالا أو ركبانا :

قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوّاً مُبِيناً ❖ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً ❖ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً ❖ وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ (سورة النساء الآيات/١٠١ - ١٠٤) .

وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم :

قال الله تعالى : ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ (سورة النساء الآية/٧٤) .

وقال الله : ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً﴾ (سورة النساء الآية/٨٤) .

ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض :

قال الله تعالى : ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (سورة الحج الآية/٤٠) .

تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض :

قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾ (سورة البقرة الآية/٨٧) .

وقال تعالى : ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً﴾ (سورة الإسراء الآية/٥٥) .

وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس :

قال الله تعالى : ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (سورة المجادلة الآية/٢١) .

ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم :

قال الله تعالى : ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (سورة البقرة الآية/٢١٣) .

يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم :

عدم علة النفاق ، معناه أن من أنفق ماله في سبيل الله كان بريئاً من النفاق ، وقد كان المنافقون مفطورين على الشح والبخل ، وشهد به القرآن فقال : أشحة على الخير .

من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه :

قال الله تعالى : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ

مُكْرَمُونَ ❖ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ (سورة الأنبياء الآيتان/٢٦ – ٢٧) .

وقال : ﴿يَوْمَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ❖ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾ (سورة طه الآيتان/١٠٩ – ١١٠) .

يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم :

قال الله عز وجل : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً ❖ إِلاَّ مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾ (سورة الجن الآيتان/٢٦ – ٢٧) .

وسع كرسيه السماوات والأرض :

قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ (سورة ق الآية/٣٨) .

مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله :

الإنفاق والجهاد توأمان ، قال الله تعالى : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (سورة البقرة الآية/٢٤٥) .

هذه الآية تبين أهمية الإنفاق في سبيل الله تعالى ، أي وهي آية جامعة ، تحرض أهل الإيمان على الإنفاق في سبيل الله تعالى .

قول معروف ومغفرة خير من صدقة :

أي خير من صدقة أي سيئات الإنفاق .

يا أيها الذين آمنوا أنفقوا ..... :

شروط حسن الإنفاق والكسب والإخراج من الأرض .

الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء :

هذا القسم من الحكمة .

للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله :

ذكر فيها مستحقو الإنفاق ، قال الله عز وجل : ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة التوبة الآية/٦٠) .

الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية :

ذكر فيها جزاء الإنفاق .

الذين يأكلون الربا لا يقومون :

الربا إنفاق ، قال الله تعالى : ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ❖ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ❖ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ❖ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ (سورة الصافات الآيات/٦٢ – ٦٨) .

يمحق الله الربا ويربي الصدقات :

هنا نكتة : أخذ الربا كفر النعمة وظلم .

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا :

قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة آل عمران الآية/١٣٠) وقال : ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ (سورة الروم الآية/٣٩) .

فإن لم يكونا رجلين :

أي من شروط الشهادة .

فلا تكتموا الشهادة :

أي فلا تكتموا بعد رد الأمانة .

وإن تبدوا ما في أنفسكم :

قال الله تعالى : ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ (سورة الأحزاب الآية/٥٤) .

آمن الرسول بما أنزل إليه :

قال الله تعالى : ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (سورة آل عمران الآية/٨٤) .

وقال : ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً﴾ (سورة النساء الآية/١٦٢) .

(تم تفسير سورة البقرة بحمد الله وفضله وعونه وتوفيقه) .

❖❖❖❖

إصدارات جديدة :

معارف مصلح الأمة

قلم التحرير

تلقت أسرة المجلة هذا الكتاب ، الذي يحتوي على معارف مصلح الأمة المربي الكبير الشيخ وصي الله الفتحبوري ، الذي انتقل من فتح فور إلى إله آباد على طلب مُلح من تلاميذه ومسترشديه ، واستقر هناك ، فكان يتناول الناس بالتربية الدينية في ضوء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وتحقيقاً لهذا الغرض كانت تعقد له مجالس الوعظ والإرشاد صباحاً ومساءً ، يقصدها الناس من كل حدب وصوب ، ويستفيدون منها معاني غزيرة ، فيما يتعلق بحق الله ورسوله ﷺ على العباد ، وتعاليم الإسلام في السلوكيات والمعاملات ، والعبادات والتطوعات ، وكان يشرح لهم جوانب الحياة يجب أن تكون معمورة مزدانة بصالح الأعمال في جميع المجالات ، كانت له طريقة خاصة في هذه التربية الإسلامية قد تكون نموذجاً لدعاة الأمة وعلمائها .

كان يعرض حياة النبي ﷺ وسيرته على الطالبين ويؤكد لهم أن حب الله تبارك وتعالى لا يتحقق إلا باتباع النبي ﷺ ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾ (سورة آل عمران الآية/٣١) فكان يمثل للناس هذا المعنى في حياة الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، والسلف الصالح من أئمة الإسلام المخلصين .

هذا هو المجلد الأول من هذا الكتاب ، وستتلوه مجلدات ، كلها دعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قامت مكتبة دار المعارف في مدينة إله آباد بنشر هذا السفر الجليل .

ندعو الله سبحانه وتعالى أن يجزي فضيلة الشيخ العالم الرباني محمد قمر الزمان بأحسن ما يجزي به عباده المخلصين العاملين ، الذي قام بجمع هذه المجالس الدينية الغالية وتدوينها في هذا الكتاب ، وجزاه الله سبحانه وتعالى على هذا العمل الجليل بالتوفيق الكامل والتأييد المستمر ، والكتاب بالأردوية ، وما أحوجه إلى ترجمته إلى اللغة العربية .

٢- المحدث الكبير والعالم الرباني الجليل العلامة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي

تلقينا هذا الكتاب من مؤلفه فضيلة الأستاذ محمد رحمة الله

محمد ناظم الندوي ، وقد أصدرته شركة دار البشائر الإسلامية ، بيروت لبنان ، تحدث المؤلف في هذا الكتاب عن حياة علامة الهند المحدث الكبير محمد زكريا الكاندهلوي ، وعن خدماته الجليلة في مجال السنة النبوية على صاحبها ألف ألف تحية وسلام .

لقد كان المحدث الكبير العلامة الشيخ محمد زكريا علماً من أعلام العلم والدعوة والتربية والأخلاق الفاضلة والمكارم الخلقية في العصر الذي يندر فيه وجود المسلم المثالي ، فضلاً عن المربي الحكيم والمحدث العظيم ، والعالم النموذجي الكبير ، فقد كانت حياته كلها نذراً لخدمة الحديث الشريف بعلومه المختلفة ، ولنشر السنة النبوية بأساليب متعددة من التدريس والتأليف والشرح والتعليق ، ودعوة الناس إلى اتباعها في كل حين و زمان .

كان يرى التمسك بالسنة والالتزام بالآداب الكريمة التي تحدثت عنها السنة الشريفة في الحياة ، طريقاً ناجحاً ممهداً نحو العز والسعادة والنجاح ، وسبباً للرضا والمغفرة بإذن الله تعالى ، فكانت حياته نموذجاً عالياً للاتباع الكامل والحرص الشديد على الانتهاج بمنهج النبي المصطفى ﷺ في كل شيئ .

ونحن إذ نهنئ فضيلة الأستاذ محمد رحمة الله الندوي على تأليف هذا الكتاب ، بإيعاز من فضيلة الشيخ السيد محمد شاهد الحسني الأمين العام لجامعة مظاهر العلوم في سهارنفور (وهو من أحفاد العلامة الكاندهلوي) نبتهل إلى الله تبارك وتعالى أن يتقبل سعيه مشكوراً ، ويجزيه إزاء هذه الخدمة الشريفة جزاءً حسناً في الدين والدنيا والآخرة .

وقد سبق أن سماحة العلامة الأمام السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي يرحمه الله ، ألف كتاباً قيماً حول هذه الشخصية الجليلة ، نشرته دار القلم بدمشق ، بإشراف الأستاذ المحدث الدكتور الشيخ تقي الدين الندوي .

٣- النسخ في القرآن الكريم

وصل إلى مكتب المجلة كتاب قيم حول بيان النسخ في القرآن ودحض الشبهات المثارة حوله ، قام بتأليفه فضيلة الشيخ محمد رضي الرحمن القاسمي أستاذ الفقه الإسلامي وأصوله بالجامعة الإسلامية كيرالا (الهند) .

قدم له فضيلة الشيخ فقيه العصر خالد سيف الله الرحماني الأمين

العام لمجمع الفقه الإسلامي الهند ، وتولت نشر الكتاب المدرسة الحسينية لتعليم الإسلام غياري ، درينغا ، ولاية بهار ، الهند .

جاء في كلمة فضيلة الشيخ خالد سيف الله الرحماني منشئ المعهد العالي الإسلامي بحيدر آباد .

"قام عزيزي الفاضل ، حبيبي في الله الأستاذ رضي الرحمن القاسمي (سلمه الباري) بالكتابة حول الموضوع ، وحاول الإحاطة بجميع جهات المسألة ، ودحض تلك الشبهات التي يثيرها الأعداء ، واستقى من المصادر المهمة فأتى ببحث مفيد جامع يطمئن إليه القلب" .

ونحن بدورنا نهنئ المؤلف الكريم على تأليف هذا الكتاب وإخراجه في شكل جذاب .

نفع الله به جميع الأوساط التعليمية والتربوية في هذا الموضوع المهم .

٤- الشخصية القيادية

هذه الرسالة التي تحتوي على ٨٠/صفحة ، أهداها إلينا فضيلة الأستاذ السيد أزهر حسين الندوي ، وهي في الواقع بحث مقدم إلى مؤتمر جامعة الشارقة الطلابي الخامس ، الذي انعقد بين ٨ – ٩/جمادى الأولى ١٤٣٢هـ ، الموافق ١٢ – ١٣/أبريل عام ٢٠١١م .

تحدث الباحث الكريم عن الشخصية القيادية وتكوينها لخدمة الدين والوطن والبلاد والأمة ، إذ ليست القيادة أمراً من الهزل ، وإنما هي جد الجد ، فتحتاج إلى جد وجهاد ، وكفاح واستعداد أيّ استعداد .

وأشار إلى نتائج الشخصية القيادية فقال :

١- هي قدرة الإنسان المتميز على تحريك الناس نحو الهدف المنشود ، الذي يتوخاه القائد .

٢- تتميز الشخصية القيادية بالعلم الرصين في فهم الغرض ، والذكاء الاجتماعي مع قدرة التصرف في المواقف الحرجة .

٣- حاجة الشخصية القيادية في عملية البناء والإصلاح ، إنما هي الجهاد والاجتهاد والبعد عن التعصب الفكري والتقليد والمحاكاة .

٤- تكوين الشخصية القيادية الناجحة يتطلب التحلي بتميزات وسمات لا مناص عنها في مجال القيادة البناءة .

نالت هذه الرسالة قبولاً في المؤتمر المذكور أعلاه واستحق به مؤلفه جائزة غالية .

فتهانينا القلبية إليه ، ودعاؤنا له بالتقدم إلى الإمام .

آخبار علمية ودينية :

ندوة علمية وأدبية بعنوان : اللغة العربية في الهند

قلم التحرير

عقد مجمع الفقه الإسلامي (الهند) ندوة علمية وأدبية في قاعة المؤتمرات بجامعة همدرد ، (دهلي الهند) في الفترة ما بين ٢٧ – ٢٨ ذي الحجة ١٤٣٤م ، الموافق ٢ – ٣ نوفمبر ٢٠١٣م ، وكان الغرض الأساسي من عقد هذه الندوة حول اللغة العربية في الهند ، ترسيخاً لهوية المسلمين وتعزيزاً للحوار بين الثقافات والشعوب .

رأس الجلسة الافتتاحية كاتب هذه السطور سعيد الأعظمي (مدير دار العلوم لندوة العلماء لكناؤ) قدمت في الندوة أكثر من ٣٠/بحثاً ومقالاً ، تحت أربعة عناوين :

١- اللغة العربية في الهند من منظور تاريخي .
٢- آداب اللغة العربية وعلومها وفنونها في الهند .
٣- مناهج التعليم العربي وهياكله التربوية والعلمية .
٤- اللغة العربية وتعزيز الحوار والتواصل الثقافي .

كان المجمع قد أصدر مجموعة من المقالات والبحوث في كتاب ، يحتوي على بحوث ومقالات قبل موعد الندوة ، ومن بينها بحث للأستاذ إقبال بن محمد التنكاروي حول اللغة العربية في الهند من منظور تاريخي الإسلام واللغة العربية في الهند ، ورغم أن البحث مستفيض ، يغطي ٣٨/صفحة من القطع الكبير ، ولكنه يتخلى عن ذكر ندوة العلماء وخدماتها العملاقة في جميع مجالات اللغة العربية ومناحيها ، حتى فاتته الإشارة إلى ذلك الدور المهم الذي مثلته ندوة العلماء في صناعة تاريخ اللغة العربية في الهند .

وكذلك الدكتور اشتياق أحمد الأعظمي في مقاله : الإسلام واللغة العربية في الهند ، لم يتمكن من بيان دور ندوة العلماء في مجال اللغة العربية والدعوة إلى الإسلام ، بخدماتها الجليلة واهتماماتها الكبيرة وتركيزها القوي على هذا الموضوع إلا إشارة قليلة ضمن مدارس الهند الإسلامية .

أرجو أن يوفق الدكتور إلى كتابة بحث أو تأليف كتاب ، حول حركة ندوة العلماء وإنتاجاتها ودورها العظيم في إنقاذ اللغة العربية من زوايا الخمول إلى لغة الدين والحياة والاجتماع .

عودة مباركة من الربوع المقدسة

كتب الله سبحانه وتعالى عودة سالمة غانمة بعد أداء مناسك حج هذا العام لإخواننا الأعزة المنتمين إلى أسر السادة الحسنية والحسينية ، وهم فضيلة الشيخ محمد صهيب الحسيني الندوي أستاذ الحديث والتفسير في دار العلوم لندوة العلماء ، ومعه زوجته وبنيته ، والأخ الأستاذ مسعود حسن الحسني الندوي (عضو دار الإفتاء في دار العلوم) والأخ العزيز الأستاذ منصور حسن الحسني الندوي ومعه زوجته العزيزة ، قدر الله تعالى للجميع في موسم هذا العام أن يزوروا الحرمين الشريفين ، ويقضوا أياماً سعيدة في البلد الحرام ويسعدوا بأداء فريضة الحج ، تَمَّت العودة في سلامة الله تعالى .

تهانينا القلبية على هذه السعادة العظيمة ، ونقول لهم :

"حجاً مبروراً ، وسعياً مشكوراً ، وذنباً مغفوراً ، وتجارة لن تبور"

إلى رحمة الله تعالى :

فضيلة الشيخ إعجاز أحمد الأعظمي إلى رحمة الله تعالى

استأثرت رحمة الله تعالى بفضيلة الشيخ إعجاز أحمد الأعظمي ، أحد علماء الهند ممن قاموا بخدمة دين الله تعالى عن طريق التعليم والتربية والكتابة والتأليف بغاية من الصموت والجدية ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الفقيد من علماء مديرية أعظم كراه بولاية اترابرديش الهند تخرج في العلوم الإسلامية من الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند ، وكانت له مكانة عالية في خدمة العلم والدين من نواحيها العديدة ، وكان محبباً ومقبولاً في أوساط العلماء والمدارس الإسلامية في الهند كلها ، كما كانت علاقته وطيدة بالعالم الرباني الكبير والمصلح الديني العظيم الشيخ وصي الله الإله آبادي (يرحمه الله تعالى) .

فإن كتابه حول شخصية الشيخ الجليل معروف لدى الناس جميعاً ومتداول في حلقات التعليم والتربية ، كما كانت له إسهامات في الكتابة العلمية في مجلة "المآثر" الصادرة من مدرسة مرقاة العلوم التي أنشأها المحدث الكبير والشيخ الجليل العلامة حبيب الرحمن الأعظمي رحمه الله تعالى .

استأثرت به رحمة الله تعالى في ٢٣/من شهر ذي الحجة لعام ١٤٣٤هـ الموافق ٢٩/أكتوبر ٢٠١٣م ، وقد أفادت الأنباء بوفاته فجاءة .

ونحن إذ نعزي أهله وأعضاء أسرته وأحبته والإخوة ، على هذا الحادث المفاجئ ، نبتهل إلى الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته ويغفر له زلاته ويسكنه فسيح جناته ويلهم أهله وذويه الصبر والسلوان ، والله ولي المتقين .

الأخ الفاضل علي مرتضى محتشم الباتكلي في ذمة الله تعالى

غادر إلى رحمة الله الأخ الكريم علي مرتضى محتشم الباتكلي في ٢٣/ذي الحجة عام ١٤٣٤م ، يوم الثلاثاء ، الموافق ٢٩/من شهر أكتوبر سنة ٢٠١٣هـ ، بعد معاناة من أمراض الكلية ، التي أدت إلى نوع من السرطان ، أثر على صحته تأثيراً معاكساً ، وسبَّب وفاته بالغاً من العمر ٥٦/عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأخ الكريم علي مرتضى محتشم من خيرة الإخوة في مدينة باتكل (الهند) ، كان يحب ندوة العلماء ورجالها ، وخاصة سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله تعالى) ، وعلى ذلك بعث نجله العزيز محمد فوزان للدراسة في دار العلوم لندوة العلماء ، حيث أقام مدة لا بأس بها .

كان من كبار التجار ، مارس عمل تجارة في الإمارات ، ولكنه ترك ذلك ، ورجع إلى الهند ، وبدأها مع أولاده وإخوته ، وكان ناجحاً في ذلك .

ونحن إذ نعزي محمد فوزان وأمه وإخوته نتضرع إلى الله تعالى أن يغفر له زلاته ، ويسكنه فسيح جناته ويلهم أهله وذويه الصبر والسلوان .

والد الأخ الأستاذ كلام الدين الندوي إلى رحمة الله تعالى

انتقل والد الأخ الفاضل كلام الدين الندوي الشيخ محمد مستقيم خان إلى رحمة الله تعالى في ٢٦/ذي القعدة ١٤٣٤هـ الموافق ٣/أكتوبر ٢٠١٣م ، بعد نوبة قلبية أصيب بها في موطنه باغل فور بولاية بهار الهند ، وقد خلف وراءه ثلاثة أولاد ، وبنتين ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

والأخ كلام الدين الندوي مسئول مساعد للمجمع الإسلامي العلمي لندوة العلماء ، وكان الراحل الكريم بالغاً من عمره ٧٥/عاماً قضى حياته كلها في الصلاح والتقوى .

إننا حينما نعزي الأخ العزيز كلام الدين الندوي على هذا الحادث ندعو الله سبحانه وتعالى أن يغفر لوالده ويدخله جنات النعيم ، ويلهم أهله وذويه والجميع الصبر والسلوان .

البعث الإسلامي
مجلة إسلامية شهرية جامعة
ص ب ٩٣، ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)
الفاكس: ٠٥٢٢- ٢٧٨٧٧١٠

AL-BAAS-EL-ISLAMI
NADWATUL ULAMA, P.O. BOX. 93
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)
FAX:0091-522,2741221-2741231

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم ! حفظه الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة ، نشكركم على ما تتابعونه من قراءة : "البعث الإسلامي" ، وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة ، تصدر من ٥٨/عاماً بالاستمرار ، والمجلة الآن في عامها التاسع والخمسين ، ونرجو الله سبحانه أن يوفر لها جميع الوسائل اللازمة ، ويجعل التوفيق حليف العمل والعاملين فيها باستمرارية تامة .

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً ، وبتكلفه باهظة ، ولا سيما بعد تضاعف أجرة البريد وأسعار الطباعة والورق والترصيف ، فهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم ، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي وشيئ من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم ، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول .

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك ، باسم :

AL-BAAS-EL-ISLAMI A/C 10863759846 STATE BANK OF INDIA

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم المخلص

سعيد الأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"
ندوة العلماء – لكناؤ ٠٤- ٢٢٦٠٠٧ (الهند)

بالعنوان التالي:

مكتب "البعث الاسلامي" مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء، ص ب ٩٣، لكناؤ - ٢٢٦٠٠٧(الهند)